وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي دَلَّنَا عَلَى التَّوْبَةِ الَّتِي لَمْ تُفِدْهَا إِلَّا مِنْ

دلنا على التوبة اي عرفنا حقيقتها لان المكلف لابد ان يعرف ماهية الـ

حتى يتمكن بعقله من تدارك الذنوب وعرفنا وجوبها وكونها معتبـ

او ذكرنا نعمه العظيمة علينا حتى صار من الدواعي القريبة الى التوبة و

الشيء استفدته واعطيته ضد قال في المغرب فادني ما لا اعطـ

وافاده بمعنى استفاده وقال في المحمل افدت اذا استفدت وافد

اذا افدت غيرك يقال افدت غيري وافدت من غيري انتهى فقوله

السلام لم نفدها ضبط بكسر الفاء وفتحها فالكسر من الافادة بمعنى الا

اي لم نستفدها وبالفتح من الافادة بمعنى الاعطاء اي لم نعطها با

للمفعول وتشنيع بعض المحشين على من ضبطه بفتح الفاء لا وجه

ثم استفادتنا التوبة من فضله تعالى اما باعتبار د لا لتنا عليـ

او من حيث انها لما كانت عبارة عن انزجار النفس العاقلة عن متا

النفس الامارة بالسوء وانزجارها انما يكون بسوانح وجواذب الـ

تسنح لها فتطلع معها على قبح ما كانت عليه من اتباع شياطينها فتكو

سببا لجذبها عن مهاوي الهلاك وتوجيههم عن الجهة السافلة ا

القبلة الحقيقية لم يكن استفادتنا لها الا من فضله فَلَوْ لَمْ نَعْتَدَّ

مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا بِهَا لَقَدْ حَسُنَ بَلَاؤُهُ عِنْدَنَا وَجَلَّ إِحْسَانُهُ إِ

وَجَسُمَ فَضْلُهُ عَلَيْنَا اعتددت بالشيء على افتعلت اي ادخلته في

الحساب فهو معتد به اي محسوب غير ساقط والواقع في جميع الـ

لم نعتدد بفك الادغام وهي لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فلغتهـ

الادغام وقرئ قوله تعالى من يرتدد منكم عن دينه باللغتين

وجواب لو في هذا المقام محذوف والتقدير لو لم نعتدد من فضله

بها لكفانا ذلك وهذا متعارف كثيرا انتهى قلت انما ادعى حذف

الجواب ولم يجعل قوله لقد حسن بلاؤه عندنا جوابها لان النحاة

يذكروا اقتران جواب لو الماضي باللام وقد بل انما ذكروا اقترانها

الحكم

شع ضم النون م

فقط

فقط وحكوا بندرته قال ابن هشام في المغني وورد جواب لو الماضي مقرونا
بقد وهو غريب كقول جرير ٭ لو شئت قد نقع الفؤاد بشربة ٭ انتهى
لكنه قد سمع اقترانه بهما معا قال الدماميني في تحفة الغريب وقع
في صحيح البخاري في باب رجم الحبلى في الزنا في حديث ابن عباس الطويل
الذي فيه ذكر البيعة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ما نصه قال
لي عبد الرحمن بن عوف لو رأيت رجلا اتى امير المؤمنين فقال يا امير
المؤمنين هل لك في فلان يقول لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا
انتهى قال الدماميني ففيه ورود جواب لو وشرطها جميعا مقرونين
بقد قال وفلان المشار اليه بالبيعة هو طلحة بن عبيد الله وقع ذلك
في فوائد البغوي وثبت ايضا في صحيح البخاري في ابواب الخمس من حديث
جابر بن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وآله لو قد جاء مال البحرين
قد اعطيتك هكذا وهكذا وهكذا انتهى فالاولى ان يكون قوله
عليه السلام لقد حسن بلاؤه عندنا هو جواب لو لثبوت مثله في فصيح
الكلام والحذف والتقدير خلاف الاصل فيكون المعنى حينئذ لو لم
نتدارك من فضله الا بالتوبة لكان بلاؤه عندنا حسنا واحسانه
الينا جليلا وفضله علينا جسيما وذلك لان التوبة من اعظم نعم الله
على عباده لانها محاة للذنوب ٭ مسترة للعيوب ٭ مرضاة للرحمن ٭
مسخطة للشيطان ٭ مفتحة لابواب الجنان ٭ معدة لاشراق شموس
المعارف الالهية ٭ على الواح النفوس ٭ مستنزلة للمواهب الربانية ٭
من الملك القدوس ٭ روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لا
شفيع انجح من التوبة وعن ابي جعفر عليه السلام التائب من الذنب كمن
لا ذنب له وعن ابي عبد الله عليه السلام ان الله تعالى يفرح بتوبة عباده
المؤمنين اذا تابوا كما يفرح احدكم بضالته اذا وجدها وسيأتي تمام
الكلام عليها في شرح دعائها ان شاء الله تعالى قوله عليه السلام حسن
بلاؤه البلاء هنا بمعنى الاحسان والانعام ومنه قوله تعم وليبلي

انتظار اقتران جواب لو الماضي باللام وقد وشاهده

المؤمنين منه بلاء حسنا قال المفسرون اي عطاء جميلا غير مشوب
بمقاساة الشدايد والمكاره وقوله جل احسانه اي عظم يقال جل الشيء
جلالا من باب ضرب اي عظم فهو جليل ومنه الجُلّى بالضم للامر العظيم و
قوله جسم فضله كعظم لفظا ومعنى فهو جسيم وهو من الجسم بمعنى
جماعة البدن كانه صار ذا جسم كما هكذا كانت سُنّتُهُ في التوبة
لمن كان قبلنا السنة بالضم لغة الطريقة المستقيمة قيل ماخوذة
من سن الماء اذا والى صبه او من سن النصل اذا حده او من سن الابل
اذا ارسلها في المرعى وسنة الله تعالى حكمه وهكذا اشارة الى الحاضر في الذهن
من سنته في التوبة المفترضة على هذه الامة المرحومة التي ليس هي الا
الندم على الذنب لكونه ذنبا والمراد بمن كان قبلنا بنوا اسرائيل الذين
كانت سنته تعالى في التوبة لهم قتل انفسهم لا الندم فقط كما نطق
به التنزيل في قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم
انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير
لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم روي ان موسى عليه
السلام سال ربه التوبة على بني اسرائيل من عبادة العجل فقال لا الا
ان يقتلوا انفسهم فامرهم موسى عليه السلام بالقتل فاجابوا فاخذ
عليهم المواثيق ليصبرن على القتل فاصبحوا مجتمعين وقد اغتسلوا
ولبسوا الكفان كل قبيلة على حدة واتاهم هرون بالاثني عشر الفا
الذين لم يعبدوا العجل وبايديهم السيوف فتقدم موسى وقال لهم
ان هولاء اخوانكم قد اتوكم شاهرين للسيوف فاحتبوا بافنية بيوتكم
واتقوا الله واصبروا فلعن الله رجلا حل حبوته او قام من مجلسه او مد
اليهم طرفا واتقاهم بيد او رجل فيقولون امين روي ان الرجل كان
يبصر ولده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فارسل الله سحابة
ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها فجعلوا يقتلونهم الى المساء
فقام موسى وهرون يدعوان الله ويقولون هلكت بنوا اسرائيل البقية

انظر توبة بني اسرائيل بقتلهم انفسهم

يا الهنا

يا الهنا فكشفنا لصبابه والسحابه واوحى الله اليهما قد غفرت ذنب
من قتل وتبت على من لم يقتل قالوا وكانت القتلى سبعين الفا لقد
وضع عنّا ما لا طاقة لنا به ولم يكلفنا الا وسعا ولم يجشمنا
الا يسرا اللام جواب قسم محذوف فانه حيث قيل لقد فعل او لافعلن
او لئن فعل ولم يتقدم جملة قسم فثم جملة قسم محذوفة نحو لقد صدقكم
الله وعده لاعذبنه عذابا شديدا لئن اخرجوا لا يخرجون معهم والتقدير
اقسم بالله لقد وضع عنا ما لا طاقة لنا به اي ما لا قدرة لنا عليه من
التكاليف الشاقة لا ما لا تفي به الطاقة البشرية حقيقة فان ذلك
غير جائز عليه تعالى عقلا خلافا للاشاعرة واستعمال عدم الطاقة
فيما يشق شائع في كلامهم وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله للمقال
في المملوك له طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق اي ما لا
يشق والمراد انه تعالى لم يشدد علينا في التكاليف كما شدد على من
قبلنا من اليهود حيث فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع
اموالهم في الزكوة واوجب عليهم قرض ما اصابته النجاسة من الثوب والجلد
كالخف والفروه وان لا يطهر بالغسل واذا اتوا بخطيئة حرم عليهم
من الطعام بعض ما كان لهم حلالا كما قال تعالى فبظلم حرمنا عليهم
طيبات احلت لهم وحتم عليهم تعيين القصاص في العمد والخطأ من غير
الدية وقطع الاعضاء الخاطئة واحراق الغنائم وتحريم السبت وكانوا
اذا قاموا الى الصلوة لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم و
ربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية
الحبس نفسه على العبادة الى غير ذلك من اعباء التكاليف الثقيلة وقد
عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل
في شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام
بعثت بالحنيفية السمحة السهلة قوله عليه السلام ولم يكلفنا الا
وسعا التكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع بالضم ما يسع الانسان

انظر الى التكاليف الشاقة التي كانت على اليهود

من الذين هادوا

ولا يضيق علينا اي لم يكلفنا الا ما اتسع له طوقنا ولم تضق عنه قدرتنا
كما قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله عليه السلام ولم يجشمنا
الا يسرا اجشمت الامر كسمعت وتجشمته اذا تكلفته على مشقة وجشمته
غيري بالتشديد واجشمته بالالف كلفته اياه واليسر بالضم نقيض
العسر واصله السهولة ومنه اليسار للغنى لان به تتسهل الامور
وتتسنى المقاصد اي لم يكلفنا الا ما سهل علينا وتيسر دون مدى الطاقة
والوسع الا ترى اوجب علينا من الصلوات خمسا ومن السنة صوم شهر
وفي العمر حجة واحدة مع امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس
ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة لكنه تعالى اراد بنا اليسر فضلا
منه ورحمة كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهذه الفقرة
من باب التكميل وهو ان يوتى بكلام في فن فيرى انه ناقص فيكمل بآخر
فانه عليه السلام لما قال ولم يكلفنا الا وسعا توهم ان ذلك الوسع
انه كلفنا مبلغ وسعنا فكمل بقوله ولم يجشمنا الا يسرا لنفي ذلك
الايهام وهذا من كمال البلاغة وايفائها حقوقها ولم يدع لاحد
منا حجة ولا عذرا لم يدع اي لم يترك وهو من الودع بمعنى الترك
قالوا ولم يستعمل منه الا المضارع والامر فلا يقال ودع بل تركه
ولا وادع ولكن تارك ولا تقل ايجبني ودعك الغشي بل تركك ولا مودوع
ولكن متروك وما ورد منه فشاذ ومثله وذر اذ لا يقال منه ذر ولا
تذر لا غير والحجة بالضم ما دل على صحة الدعوى والعذر النفصي عن
الذنب بوجه معقول والمعنى انه تعالى لما لم يكلفنا الا دون وسعنا
ولم يشق علينا في شيء من التكاليف لم يترك لاحد حجة يحتج بها ولا
عذرا يقيمه في عدم طاعته ولزوم اوامره ونواهيه التي كلفنا بها
في القيام بها بل له تعالى الحجة البالغة وعن الصادق عليه السلام
اذا نظرت في جميع الاشياء لم تجد احدا في ضيق ولم تجد احدا الا ولله
عليه الحجة وما امروا الا بدون سعتهم وكل شيء امر الناس به فهم

يَسْعَوْنَ له وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم ولكن الناس
لا خير فيهم فَالْهَالِكُ مِنَّا مَنْ هَلَكَ عَلَيْهِ وَالسَّعِيدُ مِنَّا مَنْ
رَغِبَ إِلَيْهِ الهلاك الموت هلك يهلك من باب ضرب هلكًا بالضم
ومهلكة مثلثة اللام والاسم الهلاك ويعبر به عن الخسران واستيجاب
النار وهو المراد هنا لمقابلته بالسعيد لاستلزامه الشقاوة ومنه
الحديث اذا قيل هلك الناس فهو اهلكهم قال ابن الاثير يروى بفتح
الكاف وضمها فمن فتحها كانت فعلا ماضيًا ومعناه ان الغالين في
الدين يوئسون الناس من رحمة الله يقولون هلك الناس اي استوجبوا
النار بسوء اعمالهم فاذا قال الرجل ذلك فهو الذي اوجبها لهم لا الله
تعالى او هو الذي لما قال لهم ذلك وآيسهم حملهم على ترك الطاعة
والانهماك في المعاصي فهو الذي اوقعهم في الهلاك واما الضم فمعناه
انه اذا قال لهم ذلك فهو اهلكهم اي اكثرهم هلاكا وهو الرجل يولع
بعيب الناس ويذهب بنفسه عجبًا ويرى له عليهم فضلًا انتهى وعلى
قوله هلك عليه قيل بمعنى مع اي مع سعة رحمته وقيل ضمن معنى
استعلى او استعصى ومعناه الخاسر من خسر عنده والسعيد خلاف
الشقي ورغب اليه سأله وطلبه وقصر المسند على المسند اليه في الفقرتين
للمبالغة في هلاك من هلك عليه كانه لا هالك غيره وسعادة من رغب
اليه كانه لا سعيد غيره على ما قالوه في نحو الامير زيد والشجاع
عمرو من ان اللام ان حمل في المقام الخطابي على الاستغراق كان بمنزلة
كل امير زيد وكل شجاع عمرو وان حمل على الجنس افاد ان زيدا وجنس
الامير وعمرا وجنس الشجاع متحدان في الخارج وكيف كان فالقصر الادعائي
حاصل وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ بِكُلِّ مَا حَمِدَهُ اَدْنَى مَلَائِكَتِهِ اِلَيْهِ وَاَكْرَمِ
خَلِيقَتِهِ عَلَيْهِ وَاَرْضَى حَامِدِيهِ لَدَيْهِ الباء للاستعانة او للمصاحبة
وحمده ضبط بكسر الميم كعلمه وبتشديدها من التحميد وهو حمده تعالى
مرة بعد اخرى وادنى ملائكته اي اقربهم اليه من الدنو بمعنى القرب وارضى

اذا قال الرجل

الذي

قيل

تحقق متحدان وخارج ضرورة ان الموجود فيها الموضع فالوجد
مفهوم امتناع حمل احد المتغايرين فالموجود في الخارج
الاخر حيث تحقق لا يصدق جنس الامير
فالشجاع الا حيث يصدق زيد
وعمرو وهذا هو سر
القصر

هنا اسم تفضيل من رضي مصوغا للمفعول اذ المعنى اعظم المرضيين لديه
وبناء اسم التفضيل وان كان الغالب فيه ان يكون من الفعل الموضوع
للفاعل لكنه قد سمع بناؤه من المصوغ للمفعول ايضا بكثرة كاجز واشغل
واعجب واشفق واعذر واشهر وكفى شاهدا على صحته وروده في كلامه
عليه السلام فلا عبرة بمن منعه من النحاة وقوله لديه اي عنده وياؤها
منقلبة عن الف لان اصلها لدى كعلى لكنهم عاملوا الفها معاملة الف
الى وعلى فتسلم مع الظاهر وتقلب ياء مع المضمر في الافصح كما قال تعالى و
الفيا سيدها لدى الباب ولدينا مزيد تنبيه الظاهر ان المراد بقوله
اي اسم الظاهر
ادنى ملائكته واكرم خليقته وارضى حامديه كل من اتصف بهذه الصفات
منهم لا واحد معين وانما افرد اسم التفضيل لاستعماله مضافا وهو
اذا استعمل كذلك كان عدم المطابقة فيه اولى كما قال تعالى ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة ولم يقل احرصي بالياء فان قلت اسم التفضيل
اذا قصد به التفضيل على من اضيف اليه وجب كونه منهم واحدا كان او
متعددا لتحصل المشاركة بين الجميع في المعنى بذكره معهم ليصح تفضيله
عليهم وذلك يستلزم تفضيل الشي على نفسه قلت هو داخل فيهم افرادا
خارج عنهم تركيبا او داخل فيهم لفظا خارج عنهم ارادة فلا يلزم
ذلك حمدا يفضل سائر الحمد كفضل ربنا على جميع خلقه فضله
يفضله من باب كتب زاد عليه في الفضل يقال فاضلني ففضلته وسائر
الحمد باقيه اي ما عدا الحمد المذكور قال الزمخشري في الكشاف والعرب
السائر بمعنى الباقي واستعماله في كلام المصنفين بمعنى الجميع غير ثابت
انتهى وقال الصغاني سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم
من قصر في اللغة باعه وجعله بمعنى الجميع من لحن العوام وقال الحريري
في درة الغواص في اوهام الخواص ما لفظه ومن اوهامهم الفاضحة و
اغلاطهم الواضحة انهم يقولون قدم سائر الحاج واستوفى سائر
الخراج فيستعملون سائر بمعنى جميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي

بناء اسم التفضيل من الفعل
المصوغ للمفعول فصيح وشايع
ارضى

انتظام الكلام
على ما زعمه الخ

ومنه قيل لما يبقى في الاناء سؤر والدليل على صحة ذلك ان النبي صلى
الله عليه واله قال لغيلان حين اسلم وعنده عشر نسوة اختر اربعا
وفارق سائرهن اي من بقي بعد الاربع اللاتي تختارهن ولما وقع
سائر في هذا الموطن بمعنى الباقي الاكثر منع بعضهم من استعماله بمعنى
الباقي الاقل والصحيح انه يستعمل في كل باق قل او كثر لاجماع اهل
اللغة على ان معنى الحديث اذا شربتم فاسأروا اي ابقوا في الاناء
بقية ما لا ان المراد به ان يشرب الاقل ويبقي الاكثر وانما ندب الى
التادب بذلك لان الاكثار من المطعم والمشرب منباة عن النهم وملأمة
عند العرب ومما يدل على ان سائر بمعنى الباقي ما انشده سيبويه
❊ ترى الثور فيها مدخل الظل راسه ❊ وسائره باد الى الشمس اجمع ❊
ولما يدل الحال انتهى كلامه قال ابن بري ويؤيد ذلك ان ابن دريد
نقل في بعض اماليه ان سائر الشي يقع على جله ومعظمه ولا يستغرقه
كقولهم جاء سائر الحاج اي جلهم وملك سائر المال اي معظمه وانشد قول مضرس
❊ فما حسن ان يعذر المرء نفسه ❊ وليس في سائر الناس عاذر ❊
ومن استشهد به على ان سائر فيه بمعنى الجميع فقد اخطا خطا بينا
لان غرضه ان المرء العاذر لنفسه من الناس هو باق بالنسبة اليه وان كثر
ولا يقال جميع الناس الا اذا لم يشذ احد من الافراد وممن نص على ان
سائر بمعنى الجميع الجوهري في الصحاح فقال سائر الناس جميعهم قال
الشيخ تقي الدين ولا التفات الى قوله فانه لا يقبل ما تفرد به وقد
حكم عليه بالغلط في هذا من وجهين احدهما تفسيره ذلك بالجميع والثاني
ذكره له في باب سير وحقه ان يذكره في باب سار لانه من السؤر بالهمز
وهو بقية الشي وقال النووي هي لغة صحيحة لم يتفرد بها الجوهري
بل وافقه عليها الامام ابو منصور الجواليقي في اول كتابه شرح ادب
الكاتب واذا اتفق هذان الامامان على نقلها فهي لغة صحيحة وانكر
ابو علي ان يكون سائر من السؤر بمعنى البقية لانها تقتضي الاقل

والسائر الاكثر والحذف فهم منها في نحو قولهم ، وهي ادماء سارها ،
لانها لما اعتلت بالقلب اعتلت بالحذف ولو كانت العين همزة في الاصل
لما حذفت وقال ابن بري من جعل سائر من سار يسير فيجوز ان يقول
لقيت سائر القوم اي الجماعة التي يسير فيها هذا الاسم وانشدوا على
ذلك ابياتا منها قول الاحوص ،
فجلتها لنا لبابة لما ، وقذ النوم سائر الحراس ،
انتهى وانما استوفينا الكلام على هذا اللفظ هنا لانه كثيرا ما يقع
السؤال عنه ولعلك لا تجده بهذا الاشباع في غير هذا الكتاب قوله
عليه السلام كفضل ربنا في محل النصب على المفعولية المطلقة والاصل
فضلا كفضل ربنا فحذف الموصوف واقيم الوصف مقامه قيل والمراد
التشبيه في مطلق الفضل فلا يلزم ان يكون غير تام لان المشبه متناه
بخلاف المشبه به والاولى ان يقال المراد كون فضل حمده على سائر
حمد الحامدين في مرتبة من الكمال الذي لا نهاية له مثل فضله تعالى على
جميع الخلق اي الممكنات والمراد بسائر الحمد حمد المخلوقين بقرينة
المقام فلا يدخل في عموم حمده تعالى نفسه ثم لَهُ الحَمْدُ مكافات
كُلِّ نِعْمَةٍ لَهُ عَلَيْنَا وعَلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ المَاضِينَ والبَاقِينَ ثم
هنا استينافية لا عاطفة فلا حاجة الى التحمل بانها اتى بها لما بين
الحمدين السابق واللاحق من التفاوت وفضل كل واحد على الآخر من
وجه كفضل الاول من حيث الكيفية والثاني من حيث الكمية مثلا او وقوع
ثم للابتداء صرح به صا[illegible] كما حكاه عنه المرادي قال
الدماميني وفات ابن هشام عد هذا القسم في المغني وقدم الخبر في
قوله له الحمد لافادة الاختصاص والقصر فيه حقيقي والمكان موضع
كون الشيء اي موضع كل نعمة والمراد كونه حاصلا حيث حصلت كل نعمة
فيكون كناية مجازا عن كونه بازاء كل نعمة وعوضا عنها كما تقول
خذ هذا مكان ذا الشيء اي قائما مقامه وعوضا عنه وهو حال من المبتدا

كما في قوله تعالى وله الحمد في السموات والارض ومنهم من يجعل الظرف
متعلقاً بمعنى النسبة التي تشتمل عليها الجملة وحكم العلامة التفتازاني
في شرح المفتاح عند قول السكاكي وهو عند السلف كذا بان الظرف
معمول لثبوت الخبر للمبتدا واختاره المحقق الشريف وحكم بانه اظهر من
جعله حالا من المبتدا وقول بعضهم انه منصوب بنزع الخافض وقول
انه مفعول مطلق غلط فاحش فاحذره فان قلت كيف يكون الحمد
بازاء كل نعمة وعوضاً عنها وقد قيل من اعتقد ان شكره يساوي نعمة
الله فقد اشرك قلت انما كان عوضاً من حيث رضاء الله تعالى به كفواً
لنعمة لا من حيث كونه مساوياً لها وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى ايوب
عليه السلام اني رضيت الشكر مكافاة من اوليائي على انعمي وهو تعالى
نعمة منه ايضاً فهو من جعل نعمة له تعالى عوضاً عن نعمة له اخرى بامره
وتوفيقه وعن الصادق عليه السلام من حمد الله على نعمة فقد شكره
وكان الحمد افضل من تلك النعمة اي نعمة افضل من تلك النعمة هذا وانما
حمد تعالى على كل نعمة له على غيره من ماض وباق من حيث انه المنعم بها وهو
الجهة التي باعتبارها كان مستحقاً للحمد دون غيره وهي كونه المفيض
لتلك النعم التي لا تحصى ولا يقدر غيره على مثلها وهذه الملاحظة
هي مطلوبة لله تعالى من العبادات وهو جار منها مجرى الروح من الجسد
قوله عليه السلام الماضين والباقين المراد بالماضين من مات وفني
من قولهم مضى الشيء يمضي مضياً ومضاء بالفتح والمد ذهب وخلا
وبالباقين من لم يمت سواء وجد ولم يوجد بعد من بقي الشيء يبقى بقاء
ضد فني او من بقي بمعنى تأخر فيشتمل الحاضر منهم والمستقبل ويدخل
فيهم الملائكة والعقول الباقية ببقاء الدنيا ولا حاجة الى تكلف
تخصيص الماضين بالذوات المتغيرة الفانية من الناس والباقين
بالذوات الباقية الثابتة من العقول والملائكة عدد ما احاط
به علمه من جميع الاشياء العدد اسم من عد اذا احصاه والكمية

الشيء عدّ

التي تمتزجوا بالكم وهو مفعول مطلق مبين لعدد عامله اي اعد عده عدد
ما احاط به علمه واغرب من قال انه منصوب بنزع الخافض واحاط
بالشيء علماً ادركه بكماله ظاهراً وباطناً وعلمه تعالى عبارة من انكشاف
الاشياء له في الازل كليتها وجزئيتها كل في وقته وبحسب مرتبته وعلى
ما هو عليه فيما لا يزال وهذا الانكشاف حاصل له تعالى من ذاته
بذاته قبل خلق الاشياء وهو عين ذاته فهو تعالى لم يزل عالماً
بذاته وعالماً بالاشياء قبل ايجادها ولا يعزب عنه شيء منها كلياتها
وجزئياتها وحقايقها ولوازمها وعوارضها وجوانبها وحدودها
التي تنتهي اليها بعلم قديم كامل من جميع الجهات هو عين ذاته الحقة
التي هي العلم بالاشياء كلها على نحو واحد لا بعلم حادث زايد عليه قايم
به فان قلت ذاته تعالى مجهولة لنا ومفهوم العلم معلوم فكيف يكون
احدهما عين الآخر قلنا المعلوم من العلم مفهوم الكلي المشترك
المقول بالتشكيك على افراده الموجود بوجودات مختلفة والذي
هو ذات الباري جل شانه فرد خاص منه وذلك الفرد لشدة نوريته
وفرط ظهوره مجهول لنا محتجب عن عقولنا وكذا الكلام في ساير
صفاته الذاتية فمفهوماتها المشتركة معلومة ووجودها القدسي
الواجبي مجهول وفي هذه الفقرة رد صريح على من زعم انه تعالى ليس
عالماً بذاته لوجوب المغايرة بين العالم والمعلوم ولم يعلم ان التغاير
الاعتباري كاف كعلمنا بانفسنا فهو عالم ومعلوم وعلم وعلى من
زعم انه ليس عالماً بغيره لان علم احد بغيره عبارة عن صورة مساوية
له مرتسمة في العالم ولم يعلم ان علمه بغيره قد يكون حضورياً بمعنى
حضور ذلك الشيء بنفسه لا بمثاله وصورته عند العالم وعلم من غفل عنه
العالم عنه وان العلم الحضوري اقوى من العلم الحصولي ضرورة
ان انكشاف الشيء على احد لاجل حضوره بنفسه اقوى من انكشافه عليه
لاجل حصول مثاله وصورته فيه وعلى من زعم انه تعالى ليس عالماً

معنى علمه تعالى

الرد على من زعم انه تعالى غير عالم بذاته
وعلى من زعم انه غير عالم بغيره

الرد على من زعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات

بالجزئيات

بالجزئيات لان الجزئيات متغيرة فعلمه بها يوجب التغير في ذاته
ولم يعلم ان التغير امر اعتباري يقع في الاضافة لا في ذاته ولا في
صفاته ولا نعلمه تعالى بالكليات والجزئيات لعدم كونه زمانيا
مستمر على نحو واحد ازلا وابدا من غير تغير اصلا **ومكان كل واحد**
منهما عددها اضعافا مضاعفة ابدا سرمدا الى يوم القيمة
الواو للاستيناف والظرف خبر وعددها مبتدا هذا على ضبط عددها
بالضم واما على نسخة ابن ادريس من ضبطه بالفتح فالواو عاطفة و
المعطوف عليه مكان السابق وعددها منصوب على المصدرية بفعل
مقدر اي اعدد حملة عددها والضمير في منهما وعددها راجع الى
الاشياء والاضعاف جمع الضعف بالكسر وضعف الشيء مثله وضعفاه
مثلاه واضعافه امثاله وقال الخليل رحمه الله التضعيف ان يزاد
على اصل الشيء فيجعل مثلاه واكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة
وقال الازهري الضعف في كلام العرب المثل هذا هو الاصل ثم استعمل
في المثل وما زاد وليس للزيادة حد يقال هذا ضعف هذا اي مثله
وهذان ضعفاه اي مثلاه ثم جاز في كلام العرب ان يقال هذا ضعف
هذا اي مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف زيادة غير محصورة
فلو قال في الوصية اعطوه ضعف نصيب ولدي اعطي مثليه ولو قال
اعطوه ضعفيه اعطي ثلاثة امثاله حتى لو حصل للابن مائة اعطي
مائتين في الضعف وثلثمائة في الضعفين وعلى هذا اجرى عرف الناس
واصطلاحهم والوصية تحمل على العرف لا على دقائق اللغة انتهى
والابد في اللغة الدهر وهو الزمان الممتد قيل اشتقاقه من الابود
وهو النفور لان العقول تنفر من ادراك اخره وفي الاصطلاح استمرار
الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب المستقبل كما ان
الازل استمرار الوجود في ازمنة مقدرة غير متناهية في جانب
الماضي والسرمد الدائم الذي لا ينقطع قال الخليل هو دوام الزمان

معنى الضعف

معنى الابد

معنى السرمد

وانتصاله من ليل او نهار وقيل واشتقاقه من السرد وهو التوالي و
التعاقب ولما كان الزمان انما يمضي بسبب تعاقب اجزائه كان لذلك
مسمى بالسرد وادخلوا عليه الميم لتفيد المبالغة وقوله عليه السلام
الى يوم القيمة متعلق بباد كان بمعنى الدايم والقيمة قيل اصلها
مصدر قام الخلق من قبورهم قيامة وقيل هي تعريب قيمتا وهو
بالسريانية بهذا المعنى حَمْدًا لَا مُنْتَهَى لِحَدِّهِ وَلَا حِسَابَ لِعَدَدِهِ
وَلَا مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ وَلَا انْقِطَاعَ لِأَمَدِهِ اي لا انتهاء لحده وهو
اقصى ما يمكن ان يبلغه ولك جعل المنتهى بمعنى النهاية والحد مصدر
من حددت الشي اذا جعلت له حدا ينتهي اليه وهذا اضراب عما قبله
فلا يقال جعل للحمد اولا غاية وهو يوم القيمة ثم نفى الغاية عنه
هنا وهو تناقض بل هذا فن من فنون البلاغة بديع يسمى الرجوع في
علم البديع وهو ان يعود المتكلم الى كلامه السابق فينقضه لنكتة كأن
وهم سابقًا عمَّا ينبغي فرجع اليه وهو هنا كذلك فانه عليه السلام
غيَّا اولًا الحمد بيوم القيمة لانه غاية كل حامد ثم تنبه الى انه ينبغي
ان يكون الحمد مناسبًا للمحمود الذي لا غاية له فرجع عنه وقال
حمدا لا منتهى لحده كانه قال بل احمده حمدًا لا غاية له كما ورد في دعاء
احمده حمدًا خالدًا مع خلودك وهذا النمط في كلام بلغاء العرب كثير
وقد استوفيت الكلام عليه في شرح بديعيتي المسمى بانوار الربيع و
ذكرت شواهده قوله عليه السلام ولا حساب لعدده الحساب الاحصاء
تقول حسبت المال من باب قتل حَسْبًا بالفتح وحسبانًا بالضم وحسبانًا
بالكسر اي احصيته عددًا والعدد كمية تطلق على الواحد وما تالف
منه فيدخل الواحد وقيل ما ساوى نصف مجموع حاشيتيه القريبتين او
البعيدتين على السواء كالاثنين فان حاشيته السفلى واحد والعليا
ثلاثة ومجموع ذلك اربعة ونصف الاربعة اثنان وهو المطلوب
وعلى هذا فالواحد ليس بعدد لانه لا حاشية له سفلى قوله عليه السلام

لا مبلغ لغايته اي لا منتهى لغايته وغاية الشي مداه ولا انقطاع لامده
اي لا انتهاء ومنه منقطع الشي بالبناء للمفعول حيث ينتهي طرفه نحو
منقطع الوادي والرمل والطريق والامد الغاية وهذه الفقرات الاربع
كلها من باب نفي الشي بنفي لازمه وهو ان ينفي اللازم والمراد نفي الملزوم
مبالغة في النفي وتاكيدًا له كقوله ٭ على لاحب لا يهتدى بمناره ٭
وقوله ٭ ولا ترى الضب بها ينجحر ٭ اي لا منار فلا اهتداء ولا ضب
فلا انجحار ووجه المبالغة في ذلك ايذانه بان انتفاء الملزوم امر محقق
لا نزاع فيه وبلغ في تحققه الى ان صار كالشاهد على نفي اللازم اذ لو
كان له منار لوقع الاهتداء به ولو كان بها ضب لكان لها انجحار فالامر
هنا كذلك فان المراد بقوله عليه السلام لا منتهى لحمده ولا حساب
لعدده لا حد له فلا انتهاء ولا عدد له كثرة فلا احصاء اذ لو كان له حد
لكان له منتهى ولو كان له عدد [illegible] لكان له حساب وقس
على ذلك ونفي الغاية عنه بثلاث جمل مترادفة اهتمامًا بنفيها و
تاكيدًا لسلبها وابرزه في قوالب مختلفة ايذانا بان اللائق نفيها بكل
عبارة يمكن التعبير بها عنه حمدًا يكون وُصْلةً إلى طاعته و
سَبَبًا الى رِضْوَانِهِ وَذَرِيعَةً الى مَغْفِرَتِهِ الوصلة بالضم الوسيلة
وكل شي اتصل بشي فما بينهما وصلة وهذا وصلة الى كذا اي توصل
به اليه والسبب في الاصل الحبل الذي يتوصل به الى الاستعلاء ثم
استعير لكل ما يتوصل به الى شي كقوله تعالى وتقطعت بهم الاسباب
اي الوصل والمودات والرضوان بكسر الراء وقيس وتميم يضمانها
بمعنى الرضى وهو خلاف السخط والذريعة الوسيلة وهي ما يتقرب
به الى الشي وفلان ذريعتي الى فلان وقد تذرعت به اليه توسلت
والمغفرة في الاصل اسم من غفر الشي غفرًا من باب ضرب اذا ستره ثم اطلقت
على ستر القادر القبيح الصادر ممن هو تحت قدرته حتى ان العبد اذا
ستر عيب سيده مخافة عقابه لا يقال غفر له واذا بحثنا لا تتبعا

انتفى نفي الشي ينفي لازمه

لعدم تناهيه

فالمراد بها ستره لذنوب عباده وعيوبهم مع تجاوزه عن خطاياهم
وذنوبهم وعفوه عن معاصيهم لا مجرد الستر كما يدل عليه ما ورد
في احاديثهم عليهم السلام والا لفقد ستر حق كان غفر وَطَرِيقًا
إِلَى جَنَّتِهِ وَخَفِيرًا مِنْ نَقِمَتِهِ وَأَمْنًا مِنْ غَضَبِهِ استعار الطريق
للحمد لكونها مستلزمة للوصول الى الغاية فطلب ان يكون حمده
مستلزمًا للوصول الى الجنة التي هي الغاية الحقيقية ولمثلها
يعمل العاملون وفيها يتنافس المتنافسون والخفير بالخاء المعجمة
والفاء المجير والحامي من خفره يخفره من باب ضرب وقتل اذا اجاره وحماه
من طالب له بمكروه والاسم الخفارة بالكسر والضم ولما كان الخفير يذود
عن مخفوره ويحميه من مكروه يصل اليه استعاره للحمد وطلب ان يكون
مجيرًا له من نقمته وحاميًا له من عقوبته بان يكون سببًا لغفران
ذنوبه ومحو خطاياه التي تترتب عليها النقمة والعقاب والامن
ضد الخوف وهو هنا بمعنى المؤمن اسم فاعل من امنه ضد اخافه فوضع
المصدر موضع الفاعل مبالغة في جعل المسمى نفسه امنًا كما وضعوا
العدل موضع العادل والكلام على هذه الفقرة كالتي قبلها وَظَهِيرًا
عَلَى طَاعَتِهِ وَحَاجِزًا عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَعَوْنًا عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ
وَوَظَائِفِهِ الظهير المعين ويطلق على الواحد والجمع وفي التنزيل
وكان الكافر على ربه ظهيرًا والملائكة بعد ذلك ظهير وتظاهروا
تعاونوا والمراد ان يكون حمده سببًا لافاضة قوة على استعداد
يقوى به عقله على تذليل نفسه لطاعته تعالى كما يكون الظهير
سببًا للقوة على قهر الخصم واذلاله والحاجز الحائل بين الشيئين
والمعصية ترك الانقياد للامر والمراد كونه سببًا لحسم اسباب المعاصي
وعدم الاعداد لها بتوفيقه تعالى والعون والمعين بمعنى والتادية
مصدر ادى الحق الى صاحبه اذا اوصله اليه والاسم الاداء والوظائف
جمع وظيفة وهو ما يقدر للانسان في كل وقت من رزق او عمل

وعطفنا

وعطفها على حقه من عطف الخاص على العام اذا كان المراد بحقه تعالى
تكاليفه الشرعية والعقلية وبالوظائف ما وظفه من حقوقه
وايجابها ومنه وباتمامها كالصلوات والعبادات التي لها اوقات
معينة فان قلت كيف يكون الحمد عونا على تادية حقه تعالى وقد قال
امير المؤمنين عليه السلام في اول خطبة له في نهج البلاغة الحمد لله
الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا
يؤدي حقه المجتهدون وهذا صريح في ان تادية حقه تعالى لا
يطيقها المجتهدون فضلا عن غيرهم قلت المراد بنفي تادية المجتهدين
حقه نفي تادية حق نعمته تعالى وجزائها ولا شك ان جزاء نعمته
سبحانه امر ليس في طاقة البشر من وجهين احدهما انه لما كان اداء
حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء وكانت نعمه تعالى لا تحصى
كما قال لا يحصي نعماءه العادون بدليل قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها لزم من ذلك ان لا يمكن مقابلتها بمثل الثاني ان كل ما
نتعاطاه من افعالنا الاختيارية مستندة الى جوارحنا وقدرتنا
وارادتنا وسائر اسباب حركاتنا وهي باسرها مستندة الى جوده و
مستفادة من نعمته وكذلك ما يصدر عنا من الحمد والشكر وسائر
العبادات نعمة منه سبحانه فكيف يكون مقابلة نعمته بنعمته جزاء
وتادية لحق نعمته واما المراد بتادية حقه في الدعاء فهو القيام
بتكاليفه تعالى لانها لما كانت تسمى حقوقا سمي القيام بها تادية
والقائم بها مؤديا وهذا الاداء في الحقيقة من اعظم نعمه تعالى على
عباده اذ كان القيام بتكاليفه وسائر اسباب السلوك الموصل
الى الله تعالى كلها مستندة الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله
تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن
عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وما كان في الحقيقة نعمة
لله تعالى لا يكون اداء لها وجزاء وان اطلق ذلك في الدعاء كان

من شان للحق المفهوم المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء و
الاداء ليسارعوا الى الاتيان به رغبة ورهبة فيحصل المقصود من
التكليف حتى لو لم يعتقدوا انه حق بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهتموا
به غاية الاهتمام اذ كان غايته غير متصورة لهم كما هي وقلما تهتم
النفوس بامر لا تتصور غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة اللازمة
في تحمله لا لباعث قاهر من خارج حمدا اسعد به في السعداء
ونصير به في نظم الشهداء بسيوف اعدآئه اتيه ولي حميد
لما كانت همته عليه السلام مقصورة على السعادة الاخروية التي هي
مطمح ابصار اولى النفوس القدسية جعل مطلبها منتهى مطالبه وطلب
اعظم وسائلها التي هي الشهادة غاية ماربه والسعد اجمع سعيد
وهو من عرف ربه وسلك سبيله حتى وصل اليه والوصول اليه هي
الغاية العظمى للسعادة بل هي عينها ومن في قوله من اوليائه بيانيه
اي السعداء الذين هم اولياؤه والولي قيل فعيل بمعنى مفعول وهو
من يتولى الله امره كما قال تعالى وهو يتولى الصالحين وقيل بمعنى
فاعل اي الذي يتولى عبادة الله ويوالي طاعته من غير تخلل معصية
وكلا الوصفين شرط في الولاية وقال المتكلمون الولي من كان اتيا
بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل وبالاعمال الشرعية والتركيب
يدل على القرب فكانه قريب منه تعالى لاستغراقه في انوار معرفته وجمال
جلاله وذكر بعض المحققين وتحقيقه ان يقال هو من يتولى الله تعالى
بذاته امره فلا تصرف له اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا فعل ولا
وصف فهو الفاني بيد المغني يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه واسمه
ويمحق حينئذ اثره ويحييه بحيوته ويبقيه ببقائه وقيل الولي هو المطلع
على الحقائق الالهية ومعرفة ذاته تعالى وصفاته وافعاله كشفا
وشهودا من الله خاصة من غير واسطة ملك او بشر وقيل هو من ثبت له
الولاية التي توجب لصاحبها التصرف في العالم العنصري وتدبيره

من اوليائه

السعداء

معنى الولي وتحقيقه

بالصلاح

باصلاح فساده وانهما دار الكمالات فيه لاختصاص صاحبهما بعناية الهية
توجب له قوة في نفسه لا يمنعها الاشتغال بالبدن عن الاتصال بالعالم
العلوي واكتساب العلم الغيبي منه في حال الصحة واليقظة بل يجمع بين
الامرين لما بهما من القوة التي تسع الجانبين والولاية بهذا المعنى مرادفة
للامامة عندنا وروى ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن ابي عبد الله
عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه واله من عرف الله وعظمه
منع فاه من الكلام وبطنه عن الطعام وعنى نفسه بالصيام والقيام
قالوا بآبائنا وامهاتنا يا رسول الله هؤلاء اولياء الله قال ان اولياء
الله سكتوا فكان سكوتهم ذكرا ونظروا فكان نظرهم عبرة ونطقوا
فكان نطقهم حكمة ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة لولا الاجال
التي كتبت عليهم لم تقر ارواحهم في اجسادهم خوفا من العذاب وشوقا
الى الثواب وقيل الاولياء عرائس الله وهم محذورون عنده في حجال
الانس لا يراهم احد في الدنيا ولا في الاخرة وعن يحيى بن معاذ ولي
الله لا يحب له اخوانا ولا على الدين اعوانا فقد ابدل الله خيرا منهم
فاتخذ الصبر شعارا والشكر دثارا والقران معينا والفقر بيتا
والتقوى مطية والمجاهدة زادا والايام مراحل والاحوال منازل
والتفويض رفيقا والتوكل منارا والرضا نورا والجنة مقصدا
والذكر انيسا والفكر جليسا واليقين محجة والصدق حجة وعن الصادق
عليه السلام اولياء الله هم الذين يذكر الله برؤيتهم والى هذا المعنى
اشار من قال الولي من اولياء الله ريحان الله في الارض يشمه
الصديقون فيشتاقون به الى مولاهم وقال ابو يزيد اولياء الله
لا يخافون ولا يحزنون لانهم في ضياء الرضا وبرد الموافقة وظل
القبول وانس الوصول قال الله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون قوله عليه السلام ونضدهم في نظم الشهداء
بسيوف اعدائه النظم التاليف وضم الشيء الى اخر ونظم اللؤلؤ من

باب ضرب اللغز وجمعه في سلك وهو النظام بالكسر ويطلق النظم على
المنظوم كالنثر على المنثور ويقال جاءنا نظم من جراد ومنظوم منه
ونظما أي صنف والمعنى في جماعة الشهداء أو في صفتهم والشهداء جمع
شهيد وهو القتيل في سبيل الله فعيل بمعنى مفعول لأن الملائكة تشهد
غسله أو شهدت نقل روحه إلى الجنة أو لأن الله شهد له بالجنة
وقيل بمعنى فاعل لسقوطه على الشاهدة وهي الأرض أو لأنه حي
عند ربه حاضر أو لأنه يشهد ملك الله تعالى وملكوته أو لأنه ممن
يستشهد يوم القيمة على الأمم الخالية فيشهد أو لأنه يشهد ما أعد
الله له من الكرامة وقيل غير ذلك واستشهد بالبناء للمفعول قتل
شهيدا والاسم الشهادة والعدو خلاف الصديق الموالي يكون للواحد
والاثنين والجمع والذكر والأنثى بلفظ واحد وفي التنزيل فإنهم عدو
لي إلا رب العالمين قال سيبويه عدو وصف ولكنه ضارع الاسم
وقد يثنى ويجمع ويؤنث والجمع أعداء والأعادي جمع الجمع والعِدى
والعُدى بالكسر والضم اسمان للجمع وعرفوا العداوة بأنها حالة تتمكن
من القلب لقصد الإضرار والانتقام والمراد بالعداوة لله تعالى مخالفة
أمره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة لأن العدو لا يمتثل أمر عدوه
ولا ينقاد لطاعته فأطلقت على ما هو من لوازمها مجازا أو المراد
بعداوته تعالى عداوة أوليائه وخواصه كقوله تعالى إن الذين يحادون
الله أي يحاربون أولياءه وأعداءه أضافهم إليه تعالى تفخيما لشأنهم
وإيذانا بأن نصرهم نصره وعزهم عزه وجل فإن قلت ما فائدة التقييد
بسيوف أعدائه فإن الشهيد قتيل الكفرة الذين هم أعداء الله قلت
هو في الأصل ذلك ولكن قد اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي صلى
الله عليه وسلم المبطون والغرق والحرق وصاحب الهدم وذات الجنب
وغيرهم شهيدا فالقيد للتنصيص على المراد ولرفع توهم أن المراد
بالشهداء هم المذكورون في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا

يمتثل

لتكونوا

لتكونوا شهداء على الناس وانما ختم عليه السلام دعاءه بطلب المصير في
نظم الشهداء لكون طريق الشهادة افضل الطرق عند الله ثوابا واكرمها
مآبا كما يدل على ذلك صريحا ما روي عن ابي عبد الله عليه السلام ان امير
المومنين صلوات الله عليه كان اذا اراد القتال قال اللّهُمَّ اِنَّكَ
اَعْلَمْتَ سَبِيلاً مِنْ سُبُلِكَ جَعَلْتَ فِيهِ رِضَاكَ وَنَدَبْتَ فِيهِ اَوْلِيَاءَكَ
وَجَعَلْتَهُ اَشْرَفَ سُبُلِكَ عِنْدَكَ ثَوَاباً وَاَكْرَمَهَا لَدَيْكَ مَآباً وَاَحَبَّهَا
اِلَيْكَ مَسْلَكاً ثُمَّ اشْتَرَيْتَ فِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوَالَهُمْ بِاَنَّ لَهُمُ
الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْكَ حَقّاً
فَاجْعَلْنِي مِمَّنِ اشْتَرَيْتَ فِيهِ مِنْهُ نَفْسَهُ ثُمَّ وَفَى لَكَ بِبَيْعِهِ الَّذِي
بَايَعَكَ عَلَيْهِ غَيْرَ نَاكِثٍ وَلَا نَاقِضٍ عَهْداً وَلَا مُبَدِّلٍ تَبْدِيلاً اِسْتِيجَاباً
لِمَحَبَّتِكَ وَتَقَرُّباً بِهِ اِلَيْكَ فَاجْعَلْهُ خَاتِمَةَ عَمَلِي وَصَيِّرْ فِيهِ فَنَاءَ
عُمُرِي والدعاء طويل اخذنا منه موضع الحاجة فتراه عليه السلام كيف
طلب ان يكون سبيل الشهادة خاتمة عمله وفيه فناء عمره وهذا
ملحوظ سبطه عليه السلام في ختم دعائه بطلبها وعن ابي عبد الله عليه
السلام ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فوق كل ذي
بِرٍّ بَرٌّ حتى يقتل في سبيل الله فاذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بِرٌّ
وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من طلب
الشهادة صادقا اعطيها وان لم تصبه اي اعطي ثواب اهلها وان لم
يتفق له القتل في سبيل الله تعالى قوله عليه السلام انه ولي حميد
الولي من اسمائه تعالى بمعنى الناصر لعباده المومنين كما قال تعالى
الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور وقيل المتولي لامور
العالم والخلائق والقائم بها وقيل المتولي لاوليائه بالاحسان
والاكرام والفوز بالثواب في دار السلام قيل وهذا اولى من المعنى
الذي اقتضاه القول الثاني لان الله سبحانه قد تبرأ منه ولا يدركنا
بقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقال يوسف الصديق

عليه السلام فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة اي

انت هديتني الى الاسلام وغرست في قلبي شجرة الايمان ونجيتني من

المعصية والهلاك وعلمتني من تاويل الاحاديث وانبتني الملك والحميد

الذي يستحق الحمد في السرآء والضرآء والشدة والرخآء المحمود بما

حمد به نفسه وبما حمده به عباده وخلقه وانما كان محمودا في الشدة

والضرآء كما كان محمودا في الرخآء والسرآء لان شدته وضرآءه

من نعمه التي يستحق عليها الحمد اذ كان الصبر عليهما موجبا للثواب

مستلزما للزلفى لديه وحسن المآب ولا يخفى حسن ختام الدعآء

باسمه الحميد اذ كان الدعا مخصوصا بالتحميد والحمد لله على ما

هدانا اليه والصلوة والسلام على نبيه واله المحمودين

لديه اللهم اجعلنا من الحامدين لك على حسن بلائك

والشاكرين لاحسانك ونعمآئك واجعل

ما اوردناه في هذه الاوراق

خالصا لوجهك الكريم

وتقبل منا

انك انت السميع العليم قال مولفه العبد علي بن احمد الحسيني هذا

اخر الروضة الاولى من رياض السالكين في شرح صحيفة سيد العابدين

ويتلوه بعون الله وحسن توفيقه شرح الدعآء الثاني وهو دعآؤه

عليه السلام في الصلوة على رسول الله صلى الله عليه واله

اتفق الفراغ منه بعد العشآء الاخرة من ليلة السبت

لخمس عشر خلون من محرم الحرام مفتتح عام

وتسعين والف من الهجرة النبوية

على صاحبها واله افضل

الصلوة والسلم

والتحية

2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرف محمدا بمزيد كرامته تشريفا له وتكريما، وصلى
عليه هو وملائكته وامر سائر خلقه بذلك اجلالا له وتعظيما، فقال
ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما، صلى الله عليه وآله الذين ورثهم معارفه وعلمهم من لدنه
تعليما وبعد فهذه الروضة الثانية من رياض السالكين تتضمن
شرح الدعاء الثاني من ادعية صحيفة سيد العابدين، املاء راجي
فضل ربه السني علي صدر الدين الحسيني الحسني، وفقه الله تعالى
لمراضيه، وجعل مستقبل حاله خيرا من ماضيه، وكان من دعائه عليه
السلام بعد هذا التحميد الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله
الكلام في هذا المقام يستدعي مباحث الاول اختلف العلماء في
اشتقاق الصلوة فقيل من صليت العود بالنار اذا لينته وقومته
لان المصلي يلين بالحنو والعطف ويسعى في تعديل ظاهره وتقويم
باطنه كالخشب الذي يعرض على النار قال النووي وفي هذا القول
غباوة من صاحبه لان الصلوة واوية وصليت العود من ذوات
الياء فكيف يصح الاشتقاق قال الزركشي وهو عجيب فان المشدد
تقلب منه الواو ياء كما في زكيت المال والظاهر ان النووي توهم
انه ماخوذ من صليت المخفف ذاهلا عن كون التثقيل ومن التصلية
كالتزكية انما هي مصدر لصلى المشدد لا المخفف انتهى وهذا التعجب
اعجب واعجب فان كلا من صليت العود وصليت المخفف والمشدد من
ذوات الياء فلم تقلب الواو في المشدد ياء كما زعمه الزركشي بل
الياء فيهما من سنخ الكلمة بخلاف التزكية فانها واوية فقلبت الواو

يأتي مع التشديد وهذا ظاهر وقيل من الصلوين وهما عرقان من جانبي
الذنب وعظمان ينحنيان عند الانحناء فناسب ان يراد بها الحنو والانعطاف
المعنويين وقال الزمخشري في الكشاف الصلوة فعلة من صلى كالزكوة
من زكى وكتبتا بالواو على لفظ المفخم وحقيقته صلى حرك الصلوين
لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده انتهى فان قلت هذا الاشتقاق
انما يناسب معنى الصلوة ذات الركوع والسجود لا المعنى المراد منها هنا
قلت اجيب بان المصلي لما كان ينعطف في ركوعه وسجوده وكانت الصلوة
ذات الاركان مشتملة على التعطف استعيرت للتعطف على الغير
حنوا وترؤفا وقيل بل اصل الصلوة اللغوي بمعنى الدعاء ويؤيده
ان الصلوة بهذا المعنى في اشعار الجاهلية كثيرة الاستعمال الثاني
قال الجمهور الصلوة من الله تعالى الرحمة ومن الملائكة الاستغفار
ومن الادميين الدعاء واستبعد من جهات احدها انا اقتضاؤه
الاشتراك والاصل عدمه لما فيه من الالباس حتى ان قوما نفوه
ثم المثبتون له يقولون متى عارضه غيره مما يخالف الاصل كالمجاز
قدم عليه ولذلك ترى بعضهم يقولون المجاز خير من الاشتراك الثالث
انا لا نعرف في العربية فعلا واحدا يختلف معناه باختلاف المسند
اليه اذا كان الاسناد حقيقيا الثالث ان الرحمة فعلها متعد
والصلوة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدي الرابع
انه لو قيل مكان صلى عليه دعا عليه انعكس المعنى وحق المترادفين
صحة حلول كل منهما محل الاخر وقال المحققون انها لغة بمعنى واحد
وهو العطف ثم العطف بالنسبة الى الله تعالى الرحمة اللائقة به والى
الملائكة الاستغفار والى الادميين دعاء بعضهم لبعض وقال
السهيلي في نتائج الفكر الصلوة كلها وان اختلفت معانيها راجعة
الى اصل واحد فلا تظنها لفظا اشتراك ولا استعارة انما معناها
العطف ويكون محسوسا ومعقولا انتهى والحاصل ان الاختلاف

قوله على لفظ المفخم بكسر الخاء من التفخيم وهو هنا
امالة الالف الى مخرج الواو والاصل ضد الامالة
بمعنى تركها والاصل التي هي اخراج اللام
اسفل الاسنان قال التفتازاني في شرح

قولهم المجاز خير من الاشتراك

على هذا القول في افراد معنى الصلوة وعلى قول الجمهور في نفس معنى
الصلوة الثالث معنى الصلوة على رسول الله صلى الله عليه واله
تعظيمه في الدنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته وفي الاخرة بتضعيف
مثوبته والزيادة في رفع درجته قيل وغاية الدعاء بذلك عائد
الى المصلي لانا نعلم قد اعطاه من اعلاء الكلمة وعلو الدرجة
ورفع المنزلة ما لا يؤثر فيه صلوة مصل ولا دعاء داع وقيل بل
غايته طلب زيادة كماله عليه السلام وقربه من الله تعالى اذ مراتب
استحقاق نعم الله عز وجل غير متناهية [illegible] الصلوة عليه صلى
الله عليه واله في غير الصلوة وعند عدم ذكره مستحبة عند جميع اهل
الاسلام ولا يعرف من قال بوجوبها غير الكرخي فانه اوجبها في العمر مرة
كما في الشهادتين واما في الصلوة فاجمع علماؤنا رضوان الله عليهم
على وجوبها في التشهدين معا وقال الشافعي هي مستحبة في الاول
واجبة في الثاني وقال ابو حنيفة ومالك مستحبة فيهما معا واما
عند ذكره صلى الله عليه واله فظاهر كثير من الاخبار كقوله صلى الله
عليه واله من ذكرت عنده ولم يصل علي دخل النار ومن ذكرت عنده
فنسي الصلوة علي خطي به طريق الجنة وقوله من ذكرت عنده ولم يصل
علي فدخل النار فابعده الله انها تجب كلما ذكر وكلما سمع ذكره لان
الوعيد امارة الوجوب وهو مختار ابن بابويه والمقداد من اصحابنا
والطحاوي من العامة قال الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط
ومنهم من اوجبها في كل مجلس مرة ومنهم من اوجبها في العمر مرة وقال
المحقق الاردبيلي ولا شك ان احتياط الزمخشري احوط ويمكن اختيار
الوجوب في مجلس ان صلى اخرا وان صلى ثم ذكر يجب ايضا كما في تعدد
الكفارة في تعدد الموجب اذا تخللت والا فلا انتهى ولكن هذه
التفاصيل عرية عن المستند فالقول بشيء منها تحكم والاولى الوجوب
عند كل ذكر للاخبار الكثيرة الصريحة بالامر بها كلما ذكر والاصل في

الامر الوجوب واما القول بالاستحباب مطلقا كما ذهب اليه جماعة
مستدلين بالاصل والشهرة المستندين الى عدم تعليمه عليه السلام
للمؤذنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير عليهم كما يفعلون الان
ولو كان لنقل ففيه ان عدم التعليم ممنوع وكذا عدم النكير كعدم
النقل فقد روى ثقة الاسلام في الكافي في باب بدء الاذان والاقامة
باسناده عن ابي جعفر عليه السلام اذا اذنت فافصح بالالف والهاء
وصل على النبي عليه السلام كلما ذكرته او ذكره ذاكر في اذان وغيره على
ان عدم النقل لا يدل على عدمه واصالة البراءة لا يصح التمسك بها بعد
ورود القران والاخبار به ثم الظاهر من بعض الاخبار كقول الصادق
عليه السلام اذا ذكر النبي صلى الله عليه واله فاكثروا الصلوة عليه
حيث رتب الامر بالصلوة على الذكر بالفاء التعقيبية هو ايقاعها
على الفور فلو اهمل الفور اثم على القول بالوجوب ولم تسقط وكذا
الظاهر ان الامر بها عام لكل احد وعلى كل حال حتى في الصلوة
فلو ترك الامتثال واشتغل بالقراءة فيها هل تبطل الصلوة على تقدير
الوجوب ام لا فان قلنا ان الامر بالشيء نهي عن ضده الخاص والنهي
في العبادة يقتضي الفساد بطلت وان قلنا بعدمه فلا وهو الراجح
فلو تكرر الذكر تكرارا كثيرا بحيث يخرج بالاشتغال بالصلوة عليه صلى
الله عليه واله عن كونه مصليا لا يبعد القول بسقوط التكليف بها
لان الفعلين اذا تضيقا وتعذر الجمع بينهما علمنا ان احدهما ليس
بواجب قطعا ولما كان مشتغلا بالصلوة وجب اتمامها والاستمرار
فيها كان ما ينافيه غير مامور به فليتامل الخامس انما كان عليه السلام
يدعو بالصلوة عليه صلوات الله عليه واله بعد التحميد لما ورد في
ذلك عن جدته عليهما السلام فعن ابي عبد الله عليه السلام ان رجلا
دخل المسجد فصلى ركعتين ثم سال الله عز وجل فقال رسول الله صلى الله
عليه واله عجل العبد ربه وجاء اخر فصلى ركعتين ثم اثنى على الله عز وجل

وصلى على النبي صلى الله عليه وآله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
صل تعط و عنه عليه السلام ان في كتاب علي عليه السلام ان الثناء
على الله والصلوة على رسوله قبل المسئلة ولو لم يرد ذلك لكان فعله
عليه السلام ايضاً حجة وسنة ينبغي اقتفاؤها ثم ان الصلوة على النبي
صلى الله عليه وآله من اعظم شروط الاجابة روى ثقة الاسلام في
الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال لا يزال الدعاء
محجوباً حتى يصلى على محمد وآل محمد و عنه عليه السلام من دعا ولم يذكر
النبي صلى الله عليه وآله رفرف الدعاء على راسه فاذا ذكر النبي صلى
الله عليه وآله رفع الدعاء قال العلماء والسر في قبول الدعاء اذا
قرن بالصلوة امران الاول ان النبي وآله عليهم السلام وسائط
بين الله سبحانه وبين عباده في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم وهم
ابواب معرفته عز وجل فلا بد من التوسل بذكرهم في عرض الدعاء عليه
وقبوله لديه وذلك كما اذا اراد احد من الرعية اظهار حاجة على السلطان
توسل من يعظم ولا يرد قوله الثاني اذا ضم العبد الصلوة مع دعائه
وعرض المجموع على الله تعالى والصلوة غير محجوبة فالدعاء غير محجوب
لانه تعالى اكرم من ان يقبل الصلوة ويرد الدعاء فيكون قد قبل البعض
ورد البعض كيف وقد نهى تعالى عباده عن تبعيض الصفقة ولا يمكن
رد الجميع لكرامة الصلوة عليه فلم يبق الا قبول الكل وهو المطلوب
وفي نهج البلاغة عن امير المؤمنين عليه السلام اذا كانت لك الى الله
سبحانه حاجة فابدأ بمسئلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله ثم
اسأل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احدهما
ويمنع الاخرى السادس الاخبار في فضل الصلوة عليه صلى الله عليه
وآله اكثر من ان تحصى فمنها ما رواه ثقة الاسلام في الكافي عن ابي عبد الله
عليه السلام انه قال اذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله فاكثروا الصلوة
عليه فانه من صلى على النبي صلوة واحدة صلى الله عليه الف صلوة في الف

صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه الله الا صلى على العبد لصلوة الله
وصلوة ملائكته فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور وقد برئ الله منه
ورسوله واهل بيته وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه
واله من صلى علي صلى الله عليه وملئكته فمن شاء فليقل ومن شاء
فليكثر وعنه عليه السلام من صلى على محمد وال محمد عشرا صلى الله عليه
وملئكته الفا اما تسمع قول الله عز وجل هو الذي يصلي عليكم وملئكته
ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما وعن احدهما
عليهما السلام قال ما في الميزان شيء اثقل من الصلوة على محمد وال
محمد وان الرجل لتوضع اعماله في الميزان فتميل به فيخرج صلى الله عليه
واله الصلوة عليه فيضعها في ميزانه فترجح وعن ابي عبد الله عليه السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله ارفعوا اصواتكم بالصلوة علي
فانها تذهب بالنفاق السابع ما وقع في عنوان هذا الدعاء من قوله
صلى الله عليه واله بالعطف على الضمير المجرور من دون اعادة الخافض
مبني على مذهب الكوفيين ويونس والاخفش من البصريين من عدم
وجوب اعادة الخافض في ذلك خلافا لجمهور البصريين واختاره
الشلوبين وصححه ابن مالك وابو حيان وجرى عليه ابن هشام في شرح
الشذور والتوضيح لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة واتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام بخفض الارحام عطفا على الضمير
المخفوض بالباء وحكاية قطرب ما فيها غيره وفرسه بخفض الفرس
عطفا على الهاء المخفوضة باضافة غير اليها وقول الشاعر فاذهب
فما بك والايام من عجب بخفض الايام عطفا على الكاف المخفوضة
بالباء والى ذلك اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة

وعود خافض لدى عطف على ❊ ضمير خفض لازما قد جعلا
وليس عندي لازما اذ قد اتى ❊ في النثر والنظم الصحيح مثبتا

واما ما زعمه بعضهم من ان الشيعة تلتزم عدم اعادة الخافض وهو على

في مثل هذه العبارة لحديث يأثرونه وهو من فضل بيني وبين الي جهل
فقد جفا في زعم محض لا عين له ولا اثر اذ لا يعرف الشيعة هذا الخبر
ولم ترد به رواية من طرقهم بل ولم يذكروه منقطعاً في شيء من كتبهم كيف
والادعية المأثورة عن اهل البيت عليهم السلام مشحونة باعادة
الخافض في مثل ذلك كما ستقف عليه مكرراً في ادعية الصحيفة الشريفة
والله المستعان قال سيد العابدين وامام الموحدين صلوات الله عليه
وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
دُونَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ السَّالِفَةِ الواو عاطفة للجملة على
قوله في الدعاء السابق ثم له الحمد لانه عليه السلام كان يصل هذا
الدعاء بما قبله من غير فصل كما هو ظاهر العنوان وهي استينافية ومعنى
المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه وفيه اشارة الى قوله تعالى
لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَاِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ومحمد علم منقول من الصفة التي معناها كثير الخصال
المحمودة قال اهل اللغة رجل محمد اي كثير الخصال المحمودة وقال ابن
فارس سمي نبينا محمد صلى الله عليه وآله محمداً لكثرة خصاله المحمودة
يعني الهم الله تعالى اهله تسميته بذلك لما علم من خصاله الحميدة وقال
السهيلي في محمد معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة
بعد مرة كما ان المكرم من كرم مرة بعد اخرى وكذلك الممدح واسم
محمد مطابق لمعناه والله تعالى سماه به قبل ان يسمى به وهو علم من
اعلام نبوته عليه السلام اذ كان اسمه صادقاً عليه فهو صلى الله عليه
وآله محمود في الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود
في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر فيه معنى الحمد كما يقتضيه اللفظ انتهى
وورد في اخبار كثيرة من طرق اهل البيت عليهم السلام عنه صلى الله
عليه وآله انه قال سماني باسمه من فوق عرشه وشق لي اسماً من اسمائه

فسماني محمدًا وهو محمود واخرج البخاري في تاريخه الصغير من طريق
علي بن زيد قال كان ابو طالب يقول
وشق له من اسمه ليجله ❊ فذو العرش محمود وهذا محمد
قال القسطلاني في المواهب وقد سماه الله تعالى بهذا الاسم قبل
الخلق بالفي عام كما ورد من حديث انس بن مالك من طريق ابي نعيم في مناجاة
موسى عليه السلام قال ابن قتيبة ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وآله
انه لم يسم احد قبله باسمه محمد صيانة من الله لهذا الاسم كما فعل بيحيى
اذ لم يجعل له من قبل سميًا وذلك انه تعالى سماه في الكتب المتقدمة و
بشر به الانبياء فلو جعل اسمه مشتركا فيه لوقعت الشبهة الا انه لما
قرب زمانه وبشر اهل الكتاب بقربه سمي قوم اولادهم بذلك رجاء
ان يكون هو والله اعلم حيث يجعل رسالته وهو ابو القاسم محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب خاتم النبيين وسيد المرسلين حملت به امه
في ايام التشريق في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطى ليلة الجمعة و
هي امنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة وولد صلى الله
عليه وآله بمكة يوم الجمعة عند طلوع الشمس لسابع عشر من شهر ربيع
الاول عام الفيل وعند جمهور العامة انه ولد يوم الاثنين من ربيع
الاول ثم اختلفوا فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلون منه
وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة ليلة وعليه عمل اهل مكة في زيارتهم
موضع مولده في هذا الوقت ووافقهم على ذلك من اصحابنا ثقة الاسلام
محمد بن يعقوب الكليني في الكافي وقيل لسبع عشرة ووافقنا عليه
جمهور الشيعة وقيل ولد يوم عاشورا وقيل في صفر وقيل في ربيع
الاخر وقيل في رجب وقيل في شهر رمضان وروي عن ابن عباس باسناد
لا يصح وهو موافق للقول بانه حملت به في ايام التشريق واما على
المشهور بانه ولد في ربيع الاول فيلزم منه الاشكال المشهور وهو انه
يلزم ان يكون مدة حمله ثلاثة اشهر او سنة وثلاثة اشهر وهذا مخالف

نبذ من احوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لما اتفق عليه الاصحاب من ان مدة الحمل لا تزيد عن تسع سنة ولم ينقل احد
ان ذلك من خصائصه والجواب ان المراد بايام التشريق الايام المعلومة
من شهر جمادى الاولى وقع فيه ذبح المشركين في عام الفيل باعتبار النسي
حيث كانوا يؤخرون الحج عن ذي الحجة فيحجون سنتين في محرم وسنتين
في صفر وهكذا الى ان يتم الدور ثم يستانفونه وعلى القول بان
مولده كان في ثاني عشر من شهر ربيع الاول يكون مدة الحمل عشرة
اشهر بلا زيادة ولا نقصان اذا فرضنا ان حمله كان في ثاني عشر من جمادى
الاولى والله اعلم ونقل عن ابي معشر البلخي وهو من مهرة علم النجوم
انه استخرج طالع النبي صلى الله عليه واله فكان عشرين درجة من الجدي
حين كان زحل والمشتري في ثالثة درجة من العقرب مقترنين في درجة
وسط السما والمريخ في بيته في الحمل والشمس ايضا في الحمل في الشرف
والزهرة في الحوت في الشرف وعطارد ايضا في الحوت والقمر في اول
الميزان والراس في الجوزا في الشرف والذنب في القوس في الشرف في
بيت الاعدآء ذكر ذلك في روضة الاحباب ومات ابوه عبد الله بن
عبد المطلب وهو ابن شهرين او سبعة اشهر ولما بلغ اربعا او ستا
من السنين ماتت امه وكان في حجر جده عبد المطلب ثماني سنين
وشهرين وعشرة ايام فتوفي عبد المطلب ووكله عمه ابو طالب عليه السلام
وذهب به الى الشام بعد ما تم له اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة
ايام ورجع من بصرى ونهى وخرج الى الشام مرة اخرى مع ميسرة غلام خديجة
في تجارة لها قبل ان يتزوجها ثم تزوجها بعد ما بلغ خمسا وعشرين
وبقيت معه ثماني عشر سنة ولما بلغ خمسا وثلثين شهد بنيان الكعبة
فلما بلغ اربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا يوم
الاثنين لثمان خلون من شهر ربيع الاول فما من حجر ومدر الا سلم
عليه قائلا السلام عليك يا رسول الله وفرض عليه التبليغ وقراءة
القرآن ولما تمت له احدى وخمسون سنة وتسعة اشهر اسرى به [دنا]

طالع النبي صلى الله عليه واله

سفره

فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى وفرض عليه خمس صلوات ولما
بلغ ثلثا وخمسين هاجر الى المدينة يوم الاثنين لثمان خلون من
شهر ربيع الاول ودخلها ضحى يوم الاثنين واذن له في الجهاد في
السنة الثانية لمن ابتداه في غير الاشهر الحرم ثم ابيح له ابتداؤهم
فيها ايضا وفيها فرض صوم شهر رمضان واختلفوا في الزكوة هل
فرضت قبله او بعده وفرض الحج في الخامسة او السادسة وفي السنة
الخامسة كانت بيعة الرضوان وفي الثامنة فتح مكة واظلت عليهم
يومئذ فدعا لها بالبركة وفي العاشرة حجة الوداع وكانت وقفة
عرفة فيها يوم الجمعة بالاجماع ولم يحج بعد الهجرة الا اياها وقبلها
لم يضبط واعتمر اربعا وكانت غزواته سبعا وعشرين وسراياه ستا
وخمسين وقيل غير ذلك وتزوج احدى وعشرين امراة طلق ستا
ومات عنده خمس وتوفي عن عشرة واحدة منهن لم يدخل بها واولاده
ستة ذكران وهما القاسم وابراهيم واربع بنات وهن فاطمة
عليها السلام وزينب ورقية وام كلثوم وكلهم من خديجة عليها السلام
الا ابراهيم هذا المتفق عليه واختلف فيما سوى هؤلاء ولما
بلغ صلى الله عليه واله ثلثا وستين وقيل خمسا وستين اختار الرفيق
الاعلى يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة
وقيل لثنتي عشرة خلت من اول ربيعي السنة المذكورة ودفن ليلة
الثلثاء او الاربعاء في حجرته التي قبض فيها هذه نبذة مما ذكره ارباب
السير وفي كون وفاته يوم الاثنين ثاني عشر اول الربيعين مع كون
وقفة عرفة يوم الجمعة في السنة العاشرة اشكال يعرف بالتامل قوله
عليه السلام دون الامم الماضية دون بمعنى التجاوز كما مر في شرح
السند فهي ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المتكلمين في علينا والعامل
فيه من اي من علينا بمحمد صلى الله عليه واله حال كوننا متجاوزين الامم
الماضية في المنة علينا وقد يقال انها مستعارة من معناها الوضعي

او ثلث بقين م

اثنتا عشرة

الذي هو ادون مكان من شيء لقدامه كما في قول الاعشى * تريك القذى
من دونها وهي دونه * اي تريك القذى قدامها وهي قدامه فيكون
ظرفا لغوا معمولا لمن والمعنى من علينا بمحمد صلى الله عليه واله بين
يدي الامم الماضية اي في مستقبلها وفي القاموس انها بمعنى امام

معنى الامة

وورا ضد وعلى هذا فلا حاجة الى دعوى الاستعارة وكما يصح جعلها
هنا بمعنى امام يصح جعلها بمعنى ورا ايضا وهو واضح والامم جمع امة
وهي الجماعة واصلها القصد من امه يؤمه اما اذا قصده كانهم قصدوا
امرا واحدا وجهة واحدة وتاتي لمعان الجماعة مطلقا وجماعة ارسل
اليهم رسول والجيل من كل حي ومنه لولا ان الكلاب امة تسبح لامرت
بقتلها ومن هو على الحق مخالف لسائر الاديان ومنه ان ابراهيم كان
امة والحين ومنه وادكر بعد امة وقوم الرجل وخلق الله وامة

امة الاجابة

النبي نوعان امة الاجابة وهم الذين اجابوا دعوته وصدقوا
نبوته وامنوا بما جاء به وهولاء هم الذين جاء مدحهم في الكتاب
والسنة كقوله تعالى جعلناكم امة وسطا كنتم خير امة وكقوله
صلى الله عليه واله شفاعتي لامتي وانا في امتي غر المحجلين وغير ذلك

امة الدعوة

وامة الدعوة وهم الذين بعث اليهم النبي عليه السلام من مسلم وكافر
ومنه قوله صلى الله عليه واله والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد
من هذه الامة يهودي ولا نصراني ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان
من اصحاب النار قوله عليه السلام والقرون السالفة القرون جمع

معنى القرن

قرن قال الهروي القرن كل طبقة مقترنين في وقت ومنه قيل لاهل
كل مدة او طبقة بعث فيها نبي قلت السنون او كثرت قرن ومنه
الحديث خيركم قرني يعني اصحابي ثم الذين يلونهم يعني التابعين لهم
باحسان واشتقاقه من الاقتران وقيل القرن ثمانون سنة وقيل
اربعون وقيل مائة وقال ابن الاعرابي القرن الوقت وقال غيره
قيل للزمان قرن لانه يقرن امة بامة وعالما بعالم وهو مصدر قرنت

جعل اسمًا للوقت ولاهل هذا آخر كلام الهروي وفيه اقوال اخرى
قال بعضهم والذي ارى ان القرن كل امة هلكت فلم يبق منها احد
والسالف المتقدم من سلف فلان من باب قعد سلوفا تقدم ومنه
سلف الرجل لآبائه المتقدمين ويقال سلف سلفًا محركا اي مضى و
انقضى وانما قيد عليه السلام المنة علينا به صلى الله عليه وآله المقتضية
للحمد مطلقًا بقوله دون الامم الماضية لافادته تعظيم المنة و
اقتضائه تاكيد الحمد لما في ذلك من الكرامة التي خصنا تعالى بهم دونهم
تفضيلًا لنا عليهم ومزيد عناية بنا لم يحرزوها اذ كانت الانبيا
والمرسلون فضلًا عن اممهم يتمنون ان يكونوا من امته ويسألون الله
ان يجعلهم منهم كما وردت به الاخبار المستفيضة من طرق الخاصة و
العامة فمن ذلك ما رواه رئيس المحدثين في كتاب معاني الاخبار باسناده
عن ابي عبد الله عليه السلام انه كان فيما ناجى الله تعالى به موسى
ان قال له يا موسى لا اقبل الصلوة الا ممن تواضع لعظمتي والزم
قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري ولم يبت مصرًا على الخطيئة وعرف
حق اوليائي واحبائي فقال يا رب تعني باحبائك واوليائك ابرهيم
واسحق ويعقوب فقال هم كذلك يا موسى الا اني اردت من من اجله
خلقت آدم وحوى ومن من اجله خلقت الجنة والنار فقال موسى ومن
هو يا رب قال محمد احمد شققت اسمه من اسمي لاني انا المحمود فقال
موسى يا رب اجعلني من امته قال يا موسى انت من امته اذا انت عرفته
وعرفت منزلته ومنزلة اهل بيته والحديث طويل اخذنا منه
موضع الحاجة واخرج ابو نعيم في الحلية عن النبي صلى الله عليه وآله
قال ان موسى لما نزلت عليه التورية وقراها وجد فيها ذكر هذه الامة
فقال يا رب اني اجد في الالواح امة هم الآخرون السابقون فاجعلها
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم
في صدورهم يقرؤونها ظاهرا فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال

يا رب اني اجد في الالواح امة ياكلون الفيء فاجعلها امتي قال تلك
امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بالحسنة فلم
يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات فاجعلها
امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم
بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت سيئة واحدة فاجعلها امتي
قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يؤتون العلم
الاول والاخر ويقتلون المسيح الدجال فاجعلها امتي قال تلك امة
احمد قال يا رب فاجعلني من امة احمد فاعطي عند ذلك خصلتين
فقال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ
ما اتيتك وكن من الشاكرين قال قد رضيت يا رب والاخبار في هذا
المعنى كثيرة جدا ولله الحمد بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لَا يَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ
عَظُمَ وَلَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفَ متعلق بقوله تمن علينا والقدرة
فينا قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافعال الاختيارية
والعجز ما يقابل القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شانه ان يقدر
كما في حق الواحد منا اذ لا يقال للجدار مثلا انه عاجز وقدرته تعالى
تعود الى اعتبار كون ذاته مصدرا للاثار هذا قول الجمهور وقد
اسلفنا الكلام على ذلك مبسوطا فراجعه والشي بحسب مفهومه اللغوي
يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه في الاصل
مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشية
به من حيث العلم والاخبار به فقط فيتناول الواجب والممكن والممتنع
وقد يختص بالممكن موجودا كان او معدوما كما هنا بقضية اختصاص تعلق
القدرة به اذ المراد بها التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وذهب
القاضي في جمع من الاشاعرة الى ان الشي يختص بالموجود وان المعدوم
لا شي ولا ذات ولا ماهية وهو ايضا مذهب الحكماء على ما نقل عنهم قالوا
الشي اسم لما هو حقيقة الشيئية ولا يقع على المعدوم والمحال ولا علم

معنى القدرة

معنى الشي

بالمحال

بالمحال اصلاً اذ لا شيئية له ولا هو مما يتمثل في ذهن او يتصور في
وهم وانما المعلوم المقصود المتمثل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه
وهو ممكن مامن الممكنات ليس في ازائه حقيقة من الحقائق وشيء من
الاشياء ابداً والى الاول ذهب المعتزلة وجماعة من الاشاعرة قال
الزمخشري والنيسابوري الشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري
على الجوهر والعرض والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا
العام مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا تتعلق القدرة به
كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال القطب العلامة كل من قال
بان الوجود عين الماهية مثل الاشعري وابتاعه قال بان المعدوم
شيء لانتفاء الماهية عند العدم ومن قال بان الوجود غيرها فهم قد
اختلفوا في ذلك والنزاع انما هو في المعدوم الممكن لا في المعدوم
الممتنع فانه ليس بشيء عند الفريقين انتهى وهذا [illegible]



صرح به الزمخشري والنيسابوري بتصره قال العلماء معنى كون قدرته
تعالى لا تعجز عن شيء وكونه على كل شيء قديراً ان قدرته لا تعجز عن ما
يمكن تعلق القدرة به وانه على كل شيء يصح تعلقها به قدير من كل ماهية
امكانية وشيئية تصورية واما الممتنعات فلا ماهية لها ولا شيئية
حتى يصح كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها نقص على
عموم القدرة بل القدرة عامة والفيض شامل والممتنع لا ذات له و
انما يخترع العقل في وهمه مفهوماً يجعله عنواناً لامر باطل الذات
كشريك الباري واللاشيء واجتماع النقيضين او يركب بين معان
ممكنة احادها تركيباً ممتنعاً فان كلا من المتناقضين كالحركة والسكون
امر ممكن خارجاً وعقلاً وكذا معنى التركيب والاجتماع امر ممكن عيناً
وذهناً واما اجتماع المتنافيين فلا ذات له في الخارج ولا في العقل
لكن العقل يتصور مفهوم اجتماع النقيضين على وجه التلفيق ويجعله
عنواناً ليحكم على افرادها المقدرة بامتناع الوجود ومن هنا اطلق

الكلام على ان القدرة
لا تتعلق بالمحال

على المستحيل انه شيء و الا فهو لا ماهية له ولا معنى فلا تتعلق القدرة به

حديث البيضة

واما الحديث المشهور الذي رواه ثقة الاسلام في الكافي عن علي بن ابراهيم
عن محمد بن اسحق الخفاف او عن ابيه عن محمد بن اسحق قال ان عبد الله الديصاني
سال هشام بن الحكم فقال له الك رب فقال بلى قال اقادر هو قال نعم
قادر قاهر قال يقدر ان يدخل الدنيا كلها في بيضة لا تكبر البيضة ولا
تصغر الدنيا قال هشام النظرة فقال له انظرتك حولا ثم خرج عنه
فركب هشام الى ابي عبد الله عليه السلام فاستاذن عليه فاذن له
فقال يا ابن رسول الله اتاني عبد الله الديصاني بمسئلة ليس المعول
فيها الا على الله وعليك فقال ابو عبد الله عليه السلام عما ذا سالك
فقال قال لي كيت وكيت فقال ابو عبد الله عليه السلام يا هشام كم
حواسك قال خمس قال ايها اصغر قال الناظر قال وكم قدر الناظر
قال مثل العدسة او اقل منها فقال له يا هشام فانظر امامك وفوقك
واخبرني بما ترى فقال ارى سماء وارضا ودورا وقصورا وبراري
وجبالا وانهارا فقال له ابو عبد الله عليه السلام ان الذي قدر ان
يدخل الذي تراه العدسة او اقل منها قادر ان يدخل الدنيا كلها
البيضة لا تصغر الدنيا ولا تكبر البيضة فاكب هشام عليه وقبل يديه
وراسه ورجليه وقال حسبي يا ابن رسول الله والحديث طويل اخذنا
منه موضع الحاجة ومثله ما رواه رئيس المحدثين في كتاب التوحيد
بسنده الى احمد بن محمد بن ابي نصر قال جاء رجل الى الرضا عليه السلام
فقال هل يقدر ربك ان يجعل السموات والارض وما بينهما في بيضة
قال نعم وفي اصغر من البيضة قد جعلها الله في عينك وهي اقل من البيضة
لانك اذا فتحتها عاينت السماء والارض وما بينهما ولو شاء لاعماك
عنها فقال بعضهم ان السؤال في ذلك وهو ادخال الكبير مع كبره
في الصغير مع صغره وان كان من قبيل المحال والمتنافيين فكان حقيقة
الجواب عنه ان يقال ان هذا امر محال والمحال غير مقدور عليه لان

ش

له ولا شبيه الا انه عليه السلام عدل عنه الى ما ذكره لقصور الافهام
العامية عن ادراك ذلك الوجه فالذي افاده عليه السلام وجه
اقناعي مبناه على المقدمة المشهورة الذي الجمهور ان لولا دخول
المرئيات في العضو البصري فاكتفى في الجواب بهذا القدر لقبول
الخصم له وتسليمه اياه قال والذي يدل على صحة ما حملنا عليه غرض
هذا الحديث ما رواه في كتاب التوحيد عن ابي عبد الله عليه السلام
قال قيل لامير المؤمنين عليه السلام هل يقدر ربك ان يدخل الدنيا
في بيضة من غير ان يصغر الدنيا ويكبر البيضة فقال ان الله تعالى لا ينسب
الى العجز والذي سالتني لا يكون وهذا الحديث صريح في ان الذي سأله
ذلك الرجل ممتنع بالذات محال والمحال لا شيئية له فليس بمقدور
والله على كل شيء قدير ولو لم يكن معنى الروايتين الاولى والثانية ما اولناهما
به لكان بين الاخبار تناقض وجلت احاديثهم عليهم السلام عن ان
يناقض بعضها بعضا لعصمة الجميع عن الخطا ومثل الحديث المروي
عن امير المؤمنين عليه السلام ما رواه في كتاب التوحيد ايضا بسنده
عن ابي عبد الله عليه السلام انه جاء رجل الى امير المؤمنين عليه السلام
فقال له ايقدر الله ان يدخل الارض في بيضة ولا يصغر الارض ولا
يكبر البيضة فقال له ويلك ان الله لا يوصف بالعجز ومن اقدر ممن يلطف
الارض ويعظم البيضة فدلت هذه الرواية على ان ادخال العظيم او
تعظيم الصغير بنحو التكاثف والتخلخل وما يجري مجراهما وان تلطيف
الارض الى حد تدخل في البيضة او تعظيم البيضة الى حد تدخل فيها
الارض غاية القدرة وقال بعض المعاصرين ان هذه الاحاديث كلها
متفقة لا تنافي ولا تناقض فيها وان الجواب في كل منها بحسب ما يقتضيه
المقام وحال السائل وكلامهم عليهم السلام اصله واحد وقد امروا
ان يكلموا الناس على قدر عقولهم وبيان ذلك ان الحديثين الاولين
يدلان على ما دل عليه الحديث الثالث من الامكان على وجه لطيف ومعنى شريف

وتوضيحه ان الظاهر من حال الديصاني في الحديث الاول انه كان متعلما
مجادلا كما يظهر من سياق كلامه مع مثل هشام بن الحكم وجواب الامام
عليه السلام له على هذا النحو يدل على انه كان يعلم انما سأل عنه محال
والقدرة لا تتعلق بالمحال لنقصه عن الاستعداد لتعلق القدرة به
فعدوله عليه السلام الى ما يدل على كمال القدرة مع وجوده وعدم
لزوم المحال فيه مع كونه نظيرا لما اراده السائل فيه تمام الفصاحة
والبلاغة والالزام لمن عرف عليه السلام من حاله انه يعلم ذلك وحال
هشام في فهمه كحال الديصاني والا فمثل هشام مع العلم بحاله لا
يخفى عليه ان السائل اراد غير ما اجابه عليه السلام به ولم يراجعه
في ذلك لاجل دفع ما يورده السائل من انه اراد غير ما تضمنه الجواب
وحاصل الكلام انه عليه السلام نبهه ان الله سبحانه قادر على ان يدخل
الدنيا في البيضة مثل دخول ما تراه بناظرك في الناظر وهو بعينه الحدقة
وذلك بحيث لا تكبر البيضة ولا تصغر الدنيا كما ان ما يراه الناظر يدخل
تحت قدرته بحيث لا يكبر الناظر ولا يصغر ما ينظره وعلى هذا النحو ما
في الحديث الاخر من قول الرضا عليه السلام نعم وفي اصغر من البيضة
قد جعلها الله في عينك وهي اصغر من البيضة ففيه تنبيه للسائل على
كمال قدرته تعالى على ما هو ممكن وغير محال وان ما سأل عنه لا ينبغي ان
يسأل عنه لما ذكر من كونه محالا فظهر كون الاحاديث كلها متفقة لا
تنافي فيها والا فكيف يتصور ان يخفى على الامام عليه السلام ما اراده
السائل حتى يجيبه بغير ما دل عليه سؤاله ومع ذلك لا يفرق هشام
والسائل بين السؤال والجواب وينقل مثل هذا اجلاء العلماء من غير
تعرض لدفع ما ذكر وما ذلك الا لفهمهم وجه ذلك والله اعلم قوله
عليه السلام وان عظم انه هي التي يسميها اكثر المتاخرين وصلية
ومتصلة وذلك حيث وقع الشرط بها مدلولا على جوابه بما قبله من
الكلام وكان ضد الشرط اولى بجزائه من الشرط كقولك اكرمه وان شتمني

فالشتم

فالشتم بعيد من الاكرام وضده وهو المدح اولى بالاكرام ومثله
قوله وان عظم فان كون الشيء عظيما بعيد في الظاهر من القدرة عليه
وضده وهو كونه لطيفا اولى بالقدرة عليه ومثل ان في ذلك لو
المستعمله في معناها نحو اطلبوا العلم ولو بالصين والواو قيل
للعطف على محذوف وهو ضد الشرط المذكور اي لا تعجز عن شيء ان لم
يعظم وان عظم وقيل للحال والعامل فيها ما تقدم من الكلام والمعنى
لا تعجز عن شيء والحال انه عظيم وقيل الجملة اعتراضيه والواو
للاعتراض وهي قد تاتي بعد تمام الكلام وهذا انه لا يفيد ادخال الواو
حينئذ كون الجزاء اولى من الشرط فان واو الاعتراض هي الاستينافيه
كما جزم به بعضهم وعظم الشيء بالضم خلاف صغر عظما ككبر وعظامة
فهو عظيم قوله عليه السلام ولا يفوتها شيء وان لطف فات الشيء
فوتا وفواتا ذهب عنه ولطف ككظم لطفا بالضم ولطافة صغر جسمه
ودق فهو لطيف اي لا يذهب عن قدرته شيء لصغره ودقته كما لا
يعجزها شيء لعظمته وكبره بل هو على كل شيء قدير عظيما كان او لطيفا
لعموم قدرته جل شانه وعز سلطانه الكمال قال بعضهم الاولى في
اثبات عموم قدرته تعالى ونحوه من المطالب التي لا يتوقف ارسال
الرسول عليها بالادلة السمعيه فيستدل على شمول القدرة بقوله
تعالى والله على كل شيء قدير واعترض المحقق الدواني بان كون شمول
القدرة مما لا يتوقف عليه ارسال الرسول مسلم اذ لو فرض قدرته
على الارسال فقط لكفى في صدور الارسال عنه لكن اثبات رسالة
الرسول مما يتوقف على شمول القدرة اذ طريق اثباته ان المعجز فعل
الله تعالى خارق للعادة وقد صدر عنه حال دعوى النبوه واذا خالف
الفاعل المختار عادته حين استدعاه النبي تصديقه بامر يخالف العادة
دل ذلك على تصديقه قطعا وهذا يتوقف على كونه فعلا له وكونه
فعلا له مثبت بشمول القدرة اذ لا دليل لنا على ان خصوص المعجزه

الكلام على الاستدلال على عموم القدرة

فعل الله تعالى ومقدوره وان زعمه المعتزلة واحتمال وجوده لايجدي
نفعا فلا يتم هذا القول واورد انه لا يكفي في ثبوت المعجزة كون الا[مر]
الخارق للعادة فعل الله تعالى بل يتوقف على العلم بان الله تعالى لا
يصدق الكاذب وهم لا يقولون بالحسن والقبح العقليين فيتوقف على
اخبار الرسول بذلك فيدور ايضا ومن الادلة العقلية على عموم
القدرة ان علة المقدورية عامة في جميع الممكنات فالقدرة عامة
في جميعها اما ان علة المقدورية عامة في جميعها فلان علتها الامكان
وهو وصف مشترك في جميع الممكنات فيكون جميعها مقدورا لله
قال جدنا العلامة نظام الدين احمد قدس سره لو تم هذا الدليل
لدل على ان قدرة العباد ايضا عامة فان الامكان علة للمقدورية
على الممكن للعبد ايضا واذا كانت علة المقدورية عامة في جميع
الممكنات كانت قدرته ايضا عامة ولا قائل به اصلا والمشهور في
الاستدلال على ذلك ان المقتضي للقدرة هو الذات والمصحح للمقدورية
هو الامكان فان الوجوب والامتناع يحيلان المقدورية ونسبة
الذات الى جميع الممكنات على السواء فاذا ثبتت قدرته على بعضها
ثبتت على كلها لكن هذا انما يتم اذا لم تكن الممكنات حال العدم ممتازة
بعضها عن بعض ولا يكون لها مادة كما هو مذهب الاشاعرة بل المحققين
من المتكلمين اما على القول بان لها امتيازا حال العدم بان يكون لها
ثبوت دون الوجود فتكون ممتازة بعضها عن بعض حال العدم كما
هو مذهب المعتزلة القائلين بالوجود الذهني وان الموجودات
الذهنية لها ثبوت دون الوجود فيجوز ان يكون خصوصية بعض
الممكنات في حال العدم مانعة عن تعلق قدرته تعالى به فلا تكون
نسبة الذات الى الجميع على السواء وكذا على القول بان لها مادة
كما هو مذهب الحكماء اذ يجوز ان يكون تلك المادة معدة لبعض الممكنات
دون بعض فما اعدته المادة كان مقدورا له تعالى دون غيره فلا

تساوي

تتساوى نسبة الذات اليهما ايضا على هذا التقدير لانا اذا لم يكن الممكنات حال العدم ممتازة بعضها عن بعض ولم يكن لها مادة كانت نسبة الذات الى جميعها على السوآء فيثبت عموم القدرة عليها قال جدنا العلامة المذكور قدس سره ويرد عليه انه على تقدير عدم ثبوت الممكنات حال العدم وعدم المادة ايضا يجوز ان يقال لما كانت تلك الممكنات معلومة للواجب تعالى في الازل كانت ممتازة بعضها عن بعض بحسب علمه فيمكن ان يقال لم لا يكون خصوصية بعضها في علمه تعالى مانعة عن تعلق قدرته به فلا تكون نسبة الذات الى جميعها على السوآء فلا بد لنفي ذلك من دليل متين فتامل والحق ان المعول في ذلك على الدليل السمعي واجماع الانبيآء عليهم السلام الذين علموا ذلك بالوحي والعلم الشهودي كما قال تعالى مخاطبا لخاتم انبيآئه عليه وعليهم السلام الم تعلم ان الله على كل شيء قدير ولزوم الدور انما يرد على كون معرفة صدق النبي بالمعجزة موقوفا على العلم بعموم القدرة لكن العلم الضروري العادي يحصل بمجرد ظهور المعجزة على صدقه كما جزم به جدنا الاعظم غياث الحكمآء في رسالته دليل الهدى ووافقه عليه بعض المحققين فيحصل العلم بالقدرة والعلم وعمومهما من اخبارهم عليهم السلام فاعرف ذلك وابن عليه امثال هذه المطالب فانه السبيل الذي لا يضل بسلوكه الطالب والله يقول الحق وهو يهدي السبيل فختم ربنا على جميع من ذرا وجعلنا شهدآء على من جحد وكثر نعمته على من قل ختم الكتاب من باب ضرب وختم عليه ختما وضع عليه الخاتم وهو الطابع والبآء للسببية وقال ابن مالك في شرح التسهيل وهي الداخلة على صالح للاستغناء به عن فاعل معداها مجازا نحو فاخرج به من الثمرات فلو قصد اسناد الاخراج اليها لحسن ولكنه مجاز قال ومنه كتبت بالقلم وقطعت بالسكين فانه يقال كتب القلم وقطع السكين والنحويون يعبرون عن هذه البآء بالاستعانة واثرت على ذلك التعبير

قال [illegible] نصير الدين [illegible] قد جرت سنة الله بخلق العلم الضروري [illegible] هذا [illegible] سميا بالعادي [illegible] على يديه [illegible] الصديق [illegible]

بالسببيه من اجل الافعال المنسوبة الى الله تعالى فان استعمال السببيه
فيها يجوز واستعمال الاستعانة لا يجوز وذرا الله الخلق ذرءا بالهمز
من باب نفع خلقهم قال ابن الاثير وكان الذرء مختص بخلق الذرية انتهى
والذرية مثلثه نسل الثقلين والمعنى انه تعالى جعلنا اخر جميع من
خلق من الانبياء وامهم كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير
فختمهم بنا فلا امه بعدنا يرسل اليها رسول كما ان نبينا صلى الله عليه
واله خاتم الانبيا والمرسلين فلا احد يبعث بعده ولا يقدح فيه نزول
عيسى عليه السلام بعده لانه ممن بعث قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا
على شريعة محمد صلى الله عليه واله مصليا الى قبلته كانه بعض امته
قوله عليه السلام وجعلنا شهداء على من جحد الشهداء جمع شهيد
فعيل بمعنى فاعل من شهد على الشى اطلع عليه وعاينه فهو شهيد
وشاهد وجحده حقه يجحده جحدا وجحودا من باب منع انكره ولا يكون
الا على من الجاحد به وفى هذه الفقره اشارة الى قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا والوسط في الاصل اسم لما تستوى نسبة الجوانب اليه
كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف
يتسارع اليها الخلل والاوساط محفوظة كما قيل فان تلك العلاقة
بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة
التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال
الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها
الفجور والجمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة
التي طرفاها الجربزة والبلادة ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه
نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب
الاصل كسائر الاسماء التي يوصف بها اي جعلناكم متصفين بالخصال
الحميدة خيارا عدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس

تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية

بان الله تعالى قد اوضح السبل فارسل الرسل فبلغوا ونصحوا اذ كنتم
واقفين على الحقايق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام
الدين واحوال الامم اجمعين حاوياً لشرايط الشهادة عليهم دوي ان
الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبيا عليهم السلام فيطالب الله
تعالى الانبيا بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم للحجة على الجاحدين
وزيادة لخزيهم فيوتى بامة محمد صلى الله عليه واله فيشهدون فيقول
الامم من اين عرفتم فيقولون عرفنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه
الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى عند ذلك بمحمد صلى الله
عليه واله ويسال عن امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله
تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومن الحكمة في ذلك تميز امة
محمد صلى الله عليه واله في الفضل عن ساير الامم حيث يبادرون الى
تصديق الله وتصديق جميع الانبياء والايمان بهم جميعاً فهم بالنسبة
الى غيرهم كالعدل بالنسبة الى الفاسق فلذلك تقبل شهادتهم على
الامم ولا تقبل شهادة الامم عليهم وانما لم يقل ويكون الرسول لكم
شهيدا مع ان شهادته لهم لا عليهم لما في الشهيد من معنى الرقيب مثل
والله على كل شيء شهيد مع رعاية المطابقة للاول وتقديم الظرف
للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم وقيل ان هذه الشهادة
في الدنيا وذلك ان الشاهد في عرف الشرع من يخبر عن حقوق الناس
بالفاظ مخصوصة على جهات مخصوصة فكل من عرف حال شخص فله ان
يشهد عليه فان الشهادة خبر قاطع وشهادة الامة لا يجوز ان يكون
موقوفا على الاخرة لان عدالتهم في الدنيا ثابتة بدليل جعلناكم
بلفظ الماضي فلا اقل من حصولها في الحال ثم ذكر كونهم شهداء على
عدالتهم فيجب ان يكونوا شهداء في الدنيا فان قيل لعل التحمل في الدنيا
ولكن الاداء في الاخرة قلنا المراد في الاية الاداء لان العدالة انما
تعتبر في الاداء لا في التحمل ومن هنا يعلم ان اجماعهم حجة لا يمنون

قوله في مجمع البيان قوله لتكونوا شهداء على الناس
فيه اقوال احدها ان المعنى لتشهدوا على الناس [illegible]

كل واحد منهم محق في نفسه بل هيئتهم الاجتماعية تقتضي كونهم محقين
وهذا من خواص هذه الامة ثم لا يبعد ان يحصل لهم مع ذلك الشهادة
في الآخرة فيجري الواقع منهم مجرى التحمل لانهم اذا بينوا الحق عرفوا عند
ذلك القابل ومن الراد ثم يشهدون بذلك يوم القيمة كما ان الشاهد
على العقود يعرف ما الذي تم ثم يشهد بذلك عند الحاكم او يكون المعنى
لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول
الاخيار وكذا النيسابوري قيل الآية متروكة الظاهر لان وصف الامة
بالعدالة يقتضي اتصاف كل واحد منهم بها وليس كذلك فلا بد من حملها
على البعض فنحن نحملها على الائمة المعصومين سلمناه لكن الخطاب في
جعلناكم للموجودين عند نزول الآية لان خطاب من لا يوجد محال
فالآية تدل على ان اجماع اولئك حق لكنا لا نعلم بقاء جميعهم باعيانهم
الى ما بعد وفاة الرسول عليه السلام فلا يثبت صحة الاجماع وحينئذ
واجيب بان حال الشخص في نفسه غير حاله بالقياس الى غيره فلم لا يجوز
ان لا يكون الشخص مقبول القول عند الانفراد ويكون مقبول القول
عند الاجتماع والخطاب لجميع الامة من حين نزول الآية الى قيام
الساعة كما في سائر التكاليف مثل كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص
فللموجودين بالذات وللباقين بالتبعية لكنا لو اعتبرنا اول الامة
واخرها باسرها لزالت فائدة الآية اذ لم يبق بعد انقضائها من تكون
الآية حجة عليه فعلمنا ان المراد بها اهل كل عصر ثم ان الله تعالى
من على هذه الامة ان جعلهم خيارا وعدولا عند الاجتماع فلو
امكن اجتماعهم على الخطا لم يكن بينهم وبين سائر الامم فرق في ذلك
فلا منة انتهى قلت اما عدم اجتماعهم على الخطا فمسلم لكن لا من حيث
عصمتهم حال اجتماعهم عن الخطا كما يزعمه المخالفون القائلون بجواز
الخلو عن المعصوم بل من حيث دخول المعصوم فيهم لان تحقق الاجماع
كاشف عن دخوله والمسئلة مستوفاة في كتب الاصول هذا والحق ان

المراد

المراد بالشهادة الشهادة في الاخرة وبالشهداء الايمة المعصومين
عليهم السلام لما روي عن الصادق عليه السلام انه قال اظننت ان
الله عنى بهذه الاية جميع اهل القبلة من الموحدين افترى ان من لا تجوز
شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيمة ويقبلها
منه بحضرة جميع الامم الماضية كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه يعني
الامة التي وجبت لها دعوة ابراهيم كنتم خير امة اخرجت للناس وهم
الامة الوسطى وهم خير امة اخرجت للناس وروى الحاكم ابو القاسم
الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل باسناده عن سليم بن قيس الهلالي
عن علي عليه السلام ان الله تعالى ايانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على
الناس فرسول الله شاهد علينا ونحن شهداء الله على خلقه وحجته في
ارضه ونحن الذين قال الله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وروى
ثقة الاسلام في الكافي بسنده عن بريد بن معوية قال قلت لابي
جعفر عليه السلام قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه وحجته
في ارضه وبسنده عن ابي بصير عن ابي عبد الله عليه السلام قال نحن
الشهداء على الناس بما عندهم من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه
وعلى هذا فالضمير في جعلنا من قوله وجعلنا شهداء على من وجد
للامة باعتبار بعضهم الذين هم الايمة عليهم السلام قال بعض العلما
فان قلت ما حقيقة هذه الشهادة وما فائدتها مع ان الله تعالى
عالم الغيب والشهادة قلت اما حقيقتها فيعود الى اطلاعهم صلوات
الله عليهم على افعال الامة وبيان ذلك ان للنفوس القدسية الاطلاع
على الامور الغيبية والانتقاش بها مع كونها في جلابيب من ابدانها
فكيف بها قبل ملابستها لها وبعد مفارقتها لهذا العالم والجسم المظلم
فانها اذن تكون مطلعة على افعال جميع الامم ومشاهدة لها من خير
وشر واما فائدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم

منكر للاله على الوجه الذي هو الاله فبالحري ان ينكر كونه عالما بجزئيات
افعال عباده ودقائق خطرات اوهامهم وظاهر ان ذلك الانكار يستتبع
عدم المبالاة بفعل القبيح والانهماك في الامور الباطلة التي نهى الله
تعالى عنها فاذا ذكرهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما يفعلون
مع صدق كل ذلك باحسن بيان كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس
الامارة بالسوء ويمحو الاوهام الكاذبة ويردع النفس عن متابعة
الهوى واذا كان معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما في
ذمة المشهود عليه وعلمه بحقيقته وفائدتها حفظ ما في ذمة المشهود
عليه وتخوفه ان يجحد ولم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد
فيفضحه وينزع منه على اقبح وجه وكان المعنى والفائدة قائمين في
شهادة الائمة عليهم السلام اذ بها تحفظ اوامر الله وتكاليفه التي هي
حقوقه الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها من ذكر شهادتهم عليهم
بالتقصير فيفتضحوا في محل القيامة ويستوفى منهم جزاء ما كلفوا
به فقصروا فيه بالعقاب الاليم لا جرم ظهر معنى كونهم شهداء الله
على خلقه قوله عليه السلام وكثرنا بمنه على من قل كثرت الشيء تكثيرا
واكثرته اكثارا جعلته كثيرا اي جعلنا كثيرين وافرين العدد دون
سائر الامم الذين هم قليلون بالنسبة الينا وعدى كثر بعلى لتضمينه
معنى التفضيل كانه قال كثرنا بمنه مفضلا لنا على من قل وتكثيرنا
اما باعتبار كون شرعه عليه السلام موبدا الى يوم القيمة فتكون امته
مستمرة لا انقطاع لها الى انقضاء الدنيا بخلاف سائر الامم او باعتبار
شمول رسالته الى العرب والعجم والانس والجن او باعتبار البركة في
النسل كما قال صلى الله عليه واله تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم
يوم القيمة او باعتبار بقاء معجزه الذي هو القرآن الى اخر الدهر و
بالجملة فقد عد العلماء من خصائصه عليه السلام كونه اكثر الانبياء
تابعا وروى عنه صلى الله عليه واله انه قال ما من الانبياء نبي الا

اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا
اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وهذا الخبر يؤيد
الاعتبار الاخير وفسر قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر بالكثير من
اولاده واتباعه عليهم السلام ويحتمل ان يراد بالكثرة الثروة و
بالقلة الفقر يقال رجل مكثر اذا كان ذا مال كما يقال رجل مقل اذا
كان فقيرا اي جعلنا مكثرين موسرين فانفقوا ان كان فقيرا مقلا
ويحتمل ان يراد بهما العزة والذلة اذ كان من الشائع ان يكنى بالكثرة
عن العزة وبالقلة عن الذلة اي اعززنا على من ذل كما قال الزجاج في قوله
تعالى وَاذْكُرُوا اِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ يحتمل كثرة العدد بعد القلة
وكثرة العدد بعد الندارة وكثرة القدرة والشرف بعد الضعف والذلة
وقال الزمخشري اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا
عددكم فكثركم الله ووفر عددكم ويجوز اذ كنتم فقراء مقلين فكثركم
فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد
والعُدَد اَللّٰهُمَّ فَصَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ اَمِينِكَ عَلٰى وَحْيِكَ وَنَجِيبِكَ
مِنْ خَلْقِكَ وَصَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ اصل اللهم يا الله حذف حرف النداء
وعوض عنه الميم ولذلك لا يجمع بينهما الا ضرورة كقول الشاعر
اني اذا ما حدث الما ... اقول يا اللهم يا اللهما
وانما اخرت الميم تبركا باسم الله تعالى وخصت بذلك دون غيرها لان
الميم عهد زيادتها اخرا كميم زرقم للشديد الزرقة هذا مذهب البصريين
وذهب الكوفيون الى ان الميم ليست عوضا بل بقية من جملة محذوفة
وهي امنا بخير كما قال الرضي وليس بوجه لانك تقول اللهم لا تؤمهم بخير
وقال ابو علي ولانه لو كان كما ذكروا لما حسن اللهم امنا بخير وفي حسنه
دليل على ان الميم ليست ماخوذة منه اذ لو كان كذلك لكان تكرارا
وقال بعضهم اصل اللهم يا الله المطلوب لهم فحذف حرف النداء لدلالة
الطلب والاهتمام عليه مع قيامه مقامه ثم اقتصر لفظي الصفتين

زرقم بضم الزاي المعجمة وسكون الراء المهملة
وضم القاف وبعدها ميم صفة للشديد الزرقة
وهي للمبالغة المعروف يستوي فيها المذكر والمؤنث
يقال رجل زرقم وامراة زرقم اذا كان
كل منهما ازرق شديد الزرقة

الميم في م

باول الاول واخر الثاني وادغم احدهما في الاخر قوله عليه السلام
امينك على وحيك الامين فعيل من الامانة فهو اما بمعنى مفعول اي
مامون من امنه كعلمه اذا استامنه او بمعنى فاعل من آمُنَ هو ككرم
فهو امين والوحي في اللغة الاشارة والرسالة والكتابة والالهام
وكل ما القيته الى غيرك ليعلمه فهو وحي كيف كان وهو مصدر وحي
اليه يحي من باب وعد واوحى اليه بالالف مثله وهي لغة القرآن الفاشية
ثم غلب استعمال الوحي فيما يلقى الى الانبياء من عند الله والمراد بكونه
امينا على وحيه تعالى قوته على ما كلف به من ضبط الوحي في الواح قواه
الشريفة بحكم الحكمة الالهية بها عليه وكمال استعداد نفسه الطاهرة
لاسرار الله وعلومه وحكمه وحفظه لها عن ضياعها وصيانتها عن
تدنسها باذهان غير اهلها وعدم تطرق تبديل او زيادة او نقصان
اليها اذ كان من شان الامين قوته على ضبط ما يستامن عليه واستعداده
له وحفظه وصيانته عن التلف والادناس والتبديل والزيادة والنقصان
ولهذا السر كانت العرب تسميه بالامين قبل مبعثه لما شاهدوه من
امانته واشتهر بهذا الاسم قبل نبوته وبعدها قوله عليه السلام و
نجيبك من خلقك النجيب الكريم النفيس في نوعه فعيل بمعنى فاعل
من نجب ككرم نجابة ويحتمل ان يكون بمعنى مفعول اي اللباب الخالص
الذي انتجبته من خلقك من قولهم نجبت العود من باب ضرب وقتل وانتجبته
اذا قشرت نجبه بالتحريك وهو لحاؤه وقشره وتركت لبابه وخالصه
وفي حديث ابن مسعود الانعام من نجائب القرآن او نواجب القرآن قال
في القاموس نجائب القرآن افضله ومحضه ونواجبه لبابه الذي ليس
عليه نجب وفي نسخة ابن ادريس نجيك من خلقك بالياء المثناة من
تحت مشددة بعد الجيم وهو فعيل من النجوى بمعنى السر يقال ناجيته
اي ساررته وهو نجي فلان من ناجيه دون اصحابه وقال ابن الاثير
في النهاية في حديث الدعاء اللهم بمحمد نبيك وموسى نجيك هو

المناجي

المناجي المخاطب للانسان والمحدث له يقال ناجاه يناجيه مناجاة
فهو مناج والنجي فعيل منه وقد تناجيا مناجاة وانتجيا ومنه الحديث
لا يتناجى اثنان دون الثالث وفي رواية لا ينتجي اثنان دون صاحبهما
اي لا يتسارران منفردين لان ذلك يسوءه ومنه حديث علي عليه
السلام دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الطائف فانتجاه
فقال الناس لقد طال نجواه فقال ما انتجيته ولكن الله انتجاه اي
ان الله امرني ان اناجيه الى هنا كلام ابن الاثير قوله عليه السلام و
صفيك من عبادك الصفي اما بمعنى المصطفى اي المختار ومنه الصفي
والصفية لما يختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة او بمعنى الحبيب المصافي
من صافاه الود والاخاء صدقه كاصفاه يقال هو صفيي من بين اخواني
قال ابن الاثير هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول واجتباء الله تعالى و
اصطفاؤه له عليه السلام وكذلك مصافاته له يعود الى افاضة الكمال
النبوي عليه بحسب ما وهبت له العناية الالهية من القبول والاستعداد
ويحتمل ان يكون المراد باصطفائه تعالى له عليه السلام جعله صفوة
خلقه وعباده اي خيرتهم كما قال صلى الله عليه وآله ان الله اصطفى من
ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل كنانة واصطفى من كنانة
قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم وفي هذا
المعنى اخبار اخر سيأتي ذكر بعضها في الروضة السادسة ان شاء الله تعالى
اِمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الخَيْرِ وَمِفْتَاحِ البَرَكَةِ بدل من محمد او
عطف بيان عليه والامام ما يقتدى به من رئيس او غيره فيطلق على
الخليفة والعالم المقتدى به ومن يؤتم به في الصلوة ويستوي فيه
المذكر والمؤنث قال بعضهم وربما انث امام الصلوة فقيل امراة
امامة وقيل الهاء فيها خطأ والصواب حذفها لان الامام اسم لا
صفة وقال بعضهم لا يمتنع ان يقال امراة امامة لان في الامام معنى
الصفة والرحمة قيل هي ميل القلب الى الشفقة على الخلق والتلطف

يتناجيان

وقيل هي ارادة ايصال الخير اليهم واضافة الامام اليها اما بمعنى اللام
الاختصاصيه اي امام للرحمة والمعنى الامام المختص بالرحمة او بمعنى
من البيانيه اي امام من جنس الرحمة والمعنى الامام الذي هو الرحمة
كانه نفس الرحمة مبالغة وفيه اشارة الى قوله تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال اهل العربية يجوز ان يكون رحمة مفعولا له
اي لاجل الرحمة وان يكون حالا مبالغة في ان جعله نفس الرحمة واما
على حذف مضاف اي ذا رحمة او بمعنى راحم وفي الحديث انا نبي الرحمة
وفي اخر انما انا رحمة مُهْدَاةٌ وتفصيل هذه الرحمة من وجوه احدها
انه الهادي الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب
هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد العاليه ودخول جنات
النعيم التي هي غاية الرحمة الثاني ان التكاليف الواردة على يديه
اسهل التكاليف واخفها على الخلق بالنسبة الى سائر التكاليف الوارد
على ايدي الانبياء السابقين لاممها قال عليه السلام بعثت بالحنيفية
السهلة السمحة وذلك عناية من الله تعالى ورحمة اختص بها امته
على يديه الثالث انه ثبت ان الله تعالى يعفو عن عصاة امته ويرحمهم
بسبب شفاعته الرابع انه سأل الله ان يرفع عن امته بعده عذاب
الاستيصال فاجاب الله دعوته ورفع العذاب رحمة الخامس انه
وضع في شرعه الرُخَص تخفيفا ورحمة لامته السادس انه عليه السلام
رحم كثيرا من اعدائه كاليهود والنصارى والمجوس برفع السيف عنهم
وبذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال صلى الله عليه وسلم من
اذى ذميا فقد اذاني ولم يقبل احد من الانبياء الجزية قبله السابع
ان الله تعالى اخر عذاب من كذبه الى الموت او القيامة كما قال تعالى
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وكل نبي من الانبياء قبله كان اذا
كُذِّبَ اهلك الله من كذبه الى غير ذلك من الوجوه التي لا تكاد تحصى كثرة
فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال حتى

كما في حديث انا نبي الملحمة اي القتال قلت انما جا بالسيف لمن جحد وعاند واراد خفض كلمة الله ولم يتفكر ويتدبر الا ترى انه كان عليه السلام لا يبدا احدا بقتال حتى يدعوه الى الله وينذره ومن اسماء الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو المنتقم من العصاة فلا شك انه عليه السلام كان رحمة لجميع الخلق للمؤمنين بالهداية وغيرها و للمنافقين بالامان وللكافرين بتاخير العذاب فدل انه عليه السلام رحمة تعم المومن والكافر وروى انه صلى الله عليه واله قال لجبرئيل لما نزل عليه بقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين هل اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم كنت اخشى سوء العاقبة فامنت اذ شاد الله بقوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين قوله عليه السلام وقائد الخير قاد الدابة قودا من باب قال وقيادا اذا تقدمها اخذا بقيادها وهو خلاف السوق ومنه قائد الجيش لانه كانه يقودهم وجمعه قادة وقواد وقد يقال للدليل ايضا قائد بهذا الاعتبار والخير قيل هو شئ من اعمال القلب يوزاني ذاته على الايمان وغيره من الصفات المرضية يدل على ذلك ما في حديث انس يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن مثقال ذرة وقيل هو الوجود ويطلق على غيره بالعرض وهو اما خير مطلق كوجود العقل لانه خير محض لا يشوبه شر ونقص واما خير مقيد كوجود كل من الصفات المرضية وقيل هو ما يطلبه ويؤثره ويختاره كل عاقل وهو ينقسم الى خير بالذات وخير بالعرض فالاول هو الحقيقي ومرجعه الى الوجود البحت والموجود بما هو موجود كالعلم والايمان الحقيقيين والثاني ما هو وسيلة الى الاول كالعبادة والزهد وقيل هو ما يتشوقه كل احد بالاشتوية وهو المختار من اجل نفسه والمختار غيره لاجله فان الكل يطلب بالحقيقة الخير وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره فمقصده الخير ويضاده الشر وهو المجتنب من اجل نفسه والمجتوى

معنى الخير

عنه من اجله والحق ان الخير كلي يندرج تحته جميع الاعمال الصالحة كما يدل
عليه قول امير المؤمنين عليه السلام افعلوا الخير ولا تحقروا منه
شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ويؤيده ما في بعض الاخبار يخرج
منها اي من جهنم قوم لم يعملوا خيرا قط وهؤلاء الذين ليس معهم الا
الايمان انتهى ويقابله الشر فيكون كليا يندرج تحته جميع الاعمال
السيئة واضافة القائد الى الخير من اضافة الفاعل الى المفعول
وفيه استعارة لطيفة فان القائد لما كان من شانه ان يقود الدابة حتى
يصل بها الى الموضع المقصود وكان عليه السلام قد جاء بالخير واوصله
الى الخلق لاجرم حسنت استعارة القائد له قوله عليه السلام ومفتاح
البركة المفتاح ما يفتح به المغلاق والمفتح مثله وكانه مقصور من
الاول وجمع الاول مفاتيح والثاني مفاتح بغير ياء والبركة محركة النماء
والزيادة والسعادة وفيه استعارة بديعة حسنة وذلك ان الكفر
والضلال لما كانا مانعين من نماء الاعمال وسعادة الدارين شبههما
بالمغلاق الذي يمنع من الدخول الى الدار ولما كان عليه السلام دافعا
للكفر وماحيا للضلال وكان سببا للاقدام على استفادة الخيرات
الزاكية والسعادات النامية شبهه بالمفتاح كما نصب لامرك
نفسه وعرض للمكروه فيك بدنه الكاف للتعليل عند من
اثبته لها اي صل عليه لاجل نصبه لامرك نفسه كما في قوله تعالى و
اذكروه كما هديكم اي لهدايته اياكم فما مصدرية وزعم الزمخشري و
ابن عطية وغيرهما انها كافة قال ابن هشام وفيه اخراج الكاف عما
ثبت لها من عمل الجر من غير مقتض ومن نفى ورود الكاف للتعليل اجاب
بانه من وضع الخاص موضع العام اذ الذكر والهداية يشتركان في امر
وهو الاحسان فهذا في الاصل بمنزلة واحسن كما احسن الله اليك
والكاف للتشبيه لا للتعليل فوضع الخاص وهو الذكر موضع العام وهو
الاحسان والاصل واحسنوا كما احسن الله اليكم ثم عدل عن ذلك الاكل

الى

الخصوصية المطلوب وهو الذكر والهداية وكذا القول في عبا
الدعاء اذا قلنا بأن الكاف فيهما للتشبيه فيكون الاصل فاحسن اليه
كما احسن ثم عدل عن ذلك الى قوله فضل عليه كما نصب للاعلام بخصوصية
المطلوب ولاخفاء بما في ذلك من التكلف والحق ورودها للتعليل
فان معنى التعليل ظاهر في حكاية سيبويه كما انه لا يعلم فتجاوز الله
عنه وفي قول الشاعر

وطرفك اما جئتنا فاحبسنه ❊ كما يحسبوا ان الهوى حيث تنظر

اذ معناه انك اذا جئتنا فلا تنظر الينا وانظر الى غيرنا ليحسب الرقبا
ان هواك مقصور على من تنظر اليه ليكون ذلك سببا للستر وعدم
الفضيحة قاله ابن مالك ونصبا لفعل بعدها تشبيها بكي في المعنى و
نصبا اما من النصب بسكون الصاد مصدر نصبت الشيء من باب ضرب اذا
اقمته تقول نصبته لامر كذا فانتصب اي اقمته فقام والمعنى اقام
لامرك نفسه او من النصب محركة بمعنى التعب يقال نصب ينصب كتعب
يتعب لفظا ومعنى ونصبه غيره وانصبه نص عليه ابن الاثير في
النهاية والمعنى اتعب لامرك نفسه والامر اما بمعنى طلب الفعل اي
لما امرته به او بمعنى الدين والشرع كما في قوله تعالى وظهر امر الله
قوله عليه السلام وعرض للمكروه فيك بدنه عرضته لكذا تعريضا
فتعرض نصبته له فانتصب كانك جعلته عرضة له اي معروضا و
فيك اي لاجلك ففي للتعليل كقوله تعالى فذلكن الذي لمتنني فيه اي
لاجله والمكروه ما يكرهه الانسان ويشق عليه والبدن الانسان
قاله الجوهري جسده وقال الازهري والفيروزابادي هو من الجسد
هو ما سوى الراس والشوى وقال بعضهم هو ما سوى المقاتل والصحيح انه
جملة الجسد كما يدل عليه كلامه عليه السلام وفي هاتين الفقرتين اشارة
الى قيامه صلى الله عليه وآله بامر الله تعالى كما امره وبذله مهجته وجسده
في سبيله ومقاساته للمكاره وتحمله للمشاق في نصانه فمن ابي عبد الله

الشوى كالفخ اليدان والرجلان والاطراف ويقال لراس الشوى
غير مقتل

عليه السلام ان الله تعالى كلف رسوله ما لم يكلف احدا من خلقه كلفه ان
يخرج على الناس كلهم وحده بنفسه ان لم يجد فئة تقاتل معه ولم يكلف
هذا احدا من خلقه قبله ولا بعده ثم تلا هذه الايه فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك واما ما لاقاه عليه السلام من المكروه والمشقه
في ذات الله فمن قرا كتب السير علم ذلك كاستهزاء قريش في اول الدعوه
ورميهم اياه بالحجاره حتى ادموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث
الكرش على راسه وفتل الثوب في عنقه وحصره مع اهله في شعب
بني هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم
حتى كادوا يموتون جوعا لولا ان بعض من كان يحنو عليهم لرحم
او لسبب غيره كان يسترق القليل من الدقيق او التمر فيلقيه اليهم
ليلا ثم قصدهم لهبا بالاذى ولاصحابه بالضرب والتعذيب بالجوع
والوثاق في الشمس وطردهم اياهم من شعاب مكه حتى خرج من خرج منهم
الى الحبشه وخرج هو عليه السلام مستجيرا منهم تارة بثقيف وتاره
ببني عامر وتارة بربيعة الفرس وبغيرهم ثم اجمعوا على قتله والفتك
به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا اهله وولده
وما حوته يده ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينه فناصبوه
الحرب ورموه بالكتائب وصدقوه القتال والكفاح حتى ادموا فمه
وطاح مغشيا عليه ولم يزل منهم في عناء شديد وحروب متصله الى ان
اكرمه الله تعالى بنصره وايده بظهور دينه ومن له انس بالتواريخ يعلم
من تفاصيل هذه الاحوال ما يطول شرحه وكما شفع في الدعاء اليك
خاصته وحادبت في رضاك اسرته وقطع في احياء دينك
رحمه كما شغف بالعداوه بادا بها اي جاهرهم من الكشف بمعنى الاظهار
وفي للتعليل كما للتين بعدها والدعاء الى الله طلب الخلق الى توحيده
والاقبال الى طاعته وخاصة الرجل خاصته ومن يقرب منه وهو
الحميم ايضا ومنه الحديث انصرف كل رجل من وفد ثقيف الى حامته فلم

انظر ما لاقاه عليه السلام من المكروه والمشقه في ذات الله تعالى

ابدالاين

الاثير وذكر الجوهري هولاء حامة الرجل اي قرابته وفي القاموس
هي خاصة الرجل من اهله وولده والاسرة بالضم كغرفة ومن ضبطه بالفتح
فقد وهم رهط الرجل الادنون واصلها من الاسر وهو الشد لان الرجل
يشتد برهطه وعشيرته ويتقوى بهم وقطع رحمه قطعا وقطيعة هجرها
وعقها اي شق عصى القرابة وترك برها والحنو عليها والرحم ككتف
ويخفف بسكون الحاء مع فتح الراء ومع كسرها ايضا في لغة بني كلاب
وفي لغة لهم بكسر الحاء اتباعا لكسرة الراء وهي موضع تكوين الولد ووعاؤه
في بطن امه ثم سميت القرابة رحما لكونهم يرجعون الى رحم واحدة
واختلف العلماء في تحقيق معناها فقيل هي خلاف الاجنبي فتعم القرابة
والوصلة من جهة الولاء ذكره الفيومي في المصباح وقيل هي قرابة
الرجل من جهة طرفيه اباؤه وان علوا وابناؤه وان سفلوا وما
يتصل بالطرفين من الاعمام والعمات والاخوة والاخوات واولاد
وقيل الرحم التي يجب صلتها كل رحم بين اثنين لو كان احدهما ذكرا لم
يتناكحا فعلى هذا لا يدخل اولاد الاعمام واولاد الاخوال وقيل
هي نسبة واتصال بين المنتسبين يجمعهما رحم واحدة قيل وهذا يشبه
ان يكون دوريا وليس بدوري لان الرحم الواقعة في التعريف بمعنى
موضع تكوين الولد فلا دور وهذا معنى قول بعضهم هي عام في كل من
يجمع بينك وبينه نسب وان بعد وهو اقرب الى الصواب ويدل عليه
ما رواه علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم ان
تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم انها نزلت في بني امية ويؤيده
روايات اخر وفي هذه الفقرات اشارة الى ما فعله صلى الله عليه وآله
مع قومه وعشيرته واسرته واقربائه من قريش وبني المطلب وبني هاشم
الذين كذبوه وحاربوه ليطفئوا نور الله ويابى الله الا ان يتم نوره
فحاربهم وقاتلهم وقتل منهم الجم الغفير في بدر واحد واسر منهم
من اسر لم تاخذه بهم رافة ولا عطفته عليهم رحمة غضبا لله تعالى

تحقيق معنى الرحم

وطلبا لمرضاته واحياء لدينه حتى علت كلمته وظهر دينه ولو كره
المشركون **وَأَقْصَى الْأَدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ وَقَرَّبَ الْأَقْصَيْنَ**
عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ اقصاه ابعده من قصا الشيء قصوا من باب قعد اذا
بعد والادنين والاقصين بفتح ما قبل علامة الجمع فيهما الاقارب
والاباعد جمع ادنى واقصى واصلهما الادنيين والاقصيين تحركت
يا وهما المنقلبتان عن واو في الاصل لانهما من الدنو والقصو وانفتح
ما قبلهما فقلبتا الفين ثم حذفتا لالتقاء الساكنين وبقيت الفتحة
قبلهما دليلا عليهما وهذا الحكم جار في كل مقصور يجمع هذا الجمع فتحذف
الفه دون الفتحة التي قبلها لتدل عليها وفي التنزيل وانتم الاعلون
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وجحده جحدا وجحودا انكره
مع علمه واستجاب له استجابة اذا دعاه الى شيء فاطاع وعلى في الفقرتين
للتعليل اي لجحودهم ولاستجابتهم كقوله تعالى ولتكبروا الله على ما
هداكم اي لهدايته اياكم واعلم ان الجحود على نوعين احدهما جحود
تشبيه اذ المشبهون الله سبحانه بخلقه وان اختلفوا في كيفية التشبيه
بأسرهم جاحدون له في الحقيقة وذلك لان المعنى الذي يتصورونه
ويثبتونه الها ليس هو نفس الاله مع انهم ينفون ما سوى ذلك فكانوا
نافين للاله الحق في المعنى وجاحدين له والثاني جحود من لم يثبت صانعا
وكلا الفريقين جاحد له من وجه ومثبت له من وجه اما المشبهون فيثبتون
له صريحا جاحدون له لزوما واما الاخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين
له صريحا من الجهة يثبته العقلاء بها ومقرون به التزاما واضطرارا
فان كل احد اذا وقع في محنة واضطر في ضيق فزع من دون اختيار
اليه وتضرع اليه في النجاة والخلاص واليه الاشارة بقوله تعالى
واذا مسكم الضر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم
وكان الانسان كفورا **وَوَالَى فِيكَ الْأَبْعَدِينَ وَعَادَى فِيكَ**
الْأَقْرَبِينَ الموالاة ضد المعاداة والمراد بالابعدين والاقربين ما

الجحود على نوعين

التي هو

في البحر

هو

هو اعم من البعد في النسب والقرب فيه فيدخل في الابعدين الابعد
نسبا او سببا او ولاء او دارا وفي الاقربين الاقرب كذلك وكذا
الكلام في الادنين والاقصين في الفقرتين الاوليين ولا حاجة الى
تخصيص الاوليين بالقرابة والاخريين بالمكان تفاديا عن التكرار و
التاسيس خير من التاكيد فان الافعال كالفقرتين في التاسيس اذ اختصاص
الاقصاء والتقريب بالمكان ظاهر ولا داعي الى التعميم فيهما حتى يكونا
شاملين للموالاة والمعاداة فيلزم التكرار وشمولهما لهما لزوما لا
ينافي التاسيس وقوله فيك في كلا الفقرتين للتعليل اي لاجلك وفيه
اعلام بحبه وبغضه عليه السلام لله تعالى وهما من اعظم الاعمال بل هما
اوثق عرى الايمان كما روي عن الصادق عليه السلام قال قال رسول
الله صلى الله عليه واله لاصحابه اي عرى الايمان اوثق فقالوا الله ورسوله
اعلم وقال بعضهم الصلوة وقال بعضهم الزكوة وقال بعضهم الصيام
وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم الجهاد فقال رسول الله صلى الله
عليه واله لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن اوثق عرى الايمان الحب في
الله والبغض في الله وتولي اولياء الله والتبري من اعداء الله وعن
الصادق عليه السلام ايضا قال من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين
فلا دين له والاخبار في هذا المعنى كثيرة وَاَدْاَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ
رِسَالَتِكَ وَاَتْعَبَهَا بِالدُّعَاءِ اِلَى مِلَّتِكَ وَشَغَلَهَا بِالنُّصْحِ
لِاَهْلِ دَعْوَتِكَ داب الرجل في عمله كمنع اجتهد وادأب نفسه وبعيره
اجهدهما والتبليغ والابلاغ الايصال والاسم البلاغ بالفتح واللام في
للتعليل والرسالة بالكسر لغة اسم من الارسال وهو التوجيه وعرفا
تكليف الله تعالى بعض عباده بواسطة ملك يشاهده ويشافهه ان
يدعو الخلق اليه ويبلغهم احكامه وقد تطلق على نفس الاحكام المرسل
بها كما وقع هنا والملة لغة الطريقة المسلوكة واصطلاحا الطريقة الالهية
المجتمع عليها المثبتة للاحكام المتضمنة لمصالح العباد وعمارة البلاد

الحب والبغض في الله

بالكسر

الملة والشريعة والدين

نفسه

والنجاة في المعاد والملة والشريعة والدين متحدة ذاتًا ومختلفة
اعتبارًا فان الطريقة الالهية من حيث انها يجتمع عليها تسمى ملة
ومن حيث اظهار الله تعالى لها تسمى شريعة ومن حيث انه يطاع بها
تسمى دينا والجهاد الرسول صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة وانقيا
لها في الدعاء الى الملة من وجوه احدها مقاساته للمتاعب الكثيرة
والمكاره الشديدة من المشركين في بدء دعوته حتى قال ما اوذي نبي
مثل ما اوذيت وذكر امير المؤمنين عليه السلام مشيرا الى ذلك نخاض
الى رضوان الله تعالى كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون
وتالب عليه الاقصون وخلعت اليه العرب اعنتها وضربت الى
محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد
الدار واسحق المزار الثاني شدة حرصه على رجوع الخلق الى الحق
ومبالغته في دعوتهم اليه وكمال الاهتمام بشانهم وكثرة تاسفه
وتحسره على عدم ايمانهم حتى خاطبه ربه بقوله تعالى لعلك باخع
نفسك الا يكونوا مؤمنين اي اشفق على نفسك ان تقتلها
حسرة على ان لا يؤمنوا وبقوله تعالى فلعلك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا شبهه برجل فارقه اعزته
فهو يتلهف على آثارهم ويهلك نفسه حسرة وتاسفا على فراقهم
وقال له فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون
الثالث معالجته للامراض النفسانية وازالته للاعراض الظلمانية
من نفوس الجهال وقلوب اهل الزيغ والضلال فان النفوس الجاهلة
وان كانت في اول الفطرة قابلة لنور العلم وظلمة الجهل لكنها
بمزاولة الاعمال السيئة والافعال الشهوية والغضبية صارت
كالبهائم والسباع مظلمة الذوات ورسخت فيها الجهالات و
الاخلاق الحيوانية والدواعي السبعية فيحتاج معالجها الى جهد
جهيد وعناء شديد حتى يزيل عنها ظلمة الجهل ويجعلها قابلة

لنور العلم

لنور العلم فيفيض عليها الحقايق العلمية والمعارف اليقينية هذا مع
تفاوت مراتب الاذهان في قبول التعليم وتباين الفطن والافهام
في الاستعداد للتفهيم وفي ذلك من التعب والمشقة ما لا خفاء به
الا ترى ان طبيب البدن يشق عليه علاج الامراض الصعبة كحمى الدق
والسل والمرض المزمن الا يشق عليه غيرها خصوصا اذا كثرت عليه المرضى
واختلف مزاجهم في قبول الدواء فان الانبياء عليهم السلام ومن
يقوم مقامهم اطباء النفوس المبعوثون لعلاج امراضها كما ان الحكماء
اطباء الابدان المخصوصون بمداواتها الغاية بقائها على صلاحها
او رجوعها الى ما لها فيه من امراضها دنى المسيح عليه السلام خارجا من
بيت فاجرة مجاهرة بالفجور فقيل يا روح الله ما تصنع ههنا فقال
انما يأتي الطبيب المرضى الرابع استغراقه حال التبليغ والدعوة بالخلق
عن الحق والالتفات من المقام الاسنى الى المقام الادنى فانه صلى
الله عليه وآله لما كان دائم التوجه الى الملاء الاعلى مستغرقا في الالتفات
اليه مرتبطا به اشد الارتباط مقبلا عليه وكان مع ذلك منصوبا
لتشريع الشريعة وتاسيس الملة وارشاد الخلايق وافادة الحقايق
لم يكن له بد من النزول عن ذلك المقام العلوي الى هذا العالم السفلي
فكان يجد عند ذلك من الجهد والتعب والمشقة والنصب ما لا مزيد
عليه ومن هنا قال صلى الله عليه وآله اِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَاِنِّي
لَاَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ قوله عليه السلام وشغلها بالنصح
لاهل دعوته الشغل بالضم وبضمتين خلاف الفراغ وشغله كمنعه
شغلا بالفتح ويضم ولا تقل اشغله اشغالا فانها لغة متروكة او
رديئة ومما يحكى من اداب الصاحب بن عباد رحمه الله ان بعض العمال كتب
اليه ان رأى مولانا ان يأمر باشغالي ببعض اشغاله فوقع تحته الرقعة
من كتب اشغالي لا يصلح لاشغالي ويقال اشتغل بامره فهو مشتغل
بالبناء للفاعل نص عليه الازهري وغيره وقال ابن فارس ولا يكادون

معنى النصح والنصيحة

يقولون اشتغل وهو جائز يعني بالبنا للفاعل والنصح بالضم مصدر
نصح له من باب منع هذه اللغة الفصيحة وعليها قوله تعالى ان اردت
ان انصح لكم وفي لغة يتعدى بنفسه فيقال نصحته والاسم النصيحة
وهي كلمة جامعة ومعناها حيازة الخير للمنصوح له من نصحت العسل
اذا صفيته من الشمع شبهوا تخليص القول من الغش بتخليص العسل من
الشمع وقال الراغب اصلها من نصحت الثوب اذا خطته وهي اخلاص
المحبة لغيرك في اظهار ما فيه صلاحه انتهى والمراد بنصحه عليه السلام
لهم ارشادهم الى مصالح دينهم ودنياهم وتعليمهم اياها وعونهم
عليها وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والذب عنهم وعن
اعراضهم والسخاء عليهم بموجوده والايثار لهم وحسن الخلق معهم
واغتفار سيئاتهم واكرامهم على احسانهم والدعاء لهم وبالجملة
جلب خير الدنيا والاخرة اليهم خالصا مخلصا لوجه الله ومن ثم
قيل النصيحة في وجازة لفظها وجمع معانيها كلفظ الفلاح الجامع
لخير الدنيا والاخرة والدعوة بالفتح اسم من الدعاء ومادعوت

معنى الدعوة

اليه من طعام وشراب يقال نحن في دعوة فلان والمراد بها هنا
الدعوة التي نسبها الله تعالى الى نفسه في قوله سبحانه له دعوة الحق
عن ابن عباس دعوة الحق قول لا اله الا الله وقيل وانما سميت دعوة
لانها التي يدعى اليها اهل الملل الكافرة وقيل الدعوة العبادة
فان عبادته تعالى هي الحق والصدق وقيل هي بمعنى الدعاء والحق
فيها اي الدعوة الثابتة الواقعة في محلها المجابة عند وقوعها واضافتها
الى الحق للايذان بملابستها له واختصاصها به وكونها بمعزل عن
شائبة الباطل كما يقال كلمة الحق قاله الزجاج وجائز ان يكون والله
اعلم دعوة الحق انه من دعا الله تعالى موحدا استجيب له دعاؤه انتهى
فالمراد بقوله عليه السلام لاهل دعوتك اما اهل توحيدك واهل
عبادتك او اهل دعائك ويحتمل ان يكون من قبيل الاضافة الى الغنا على

اي الذين دعوتهم فاجابوا دعوتك وعلى كل وجه فالمراد بهم
المسلمون كما يقتضيه تشريفهم باضافتهم الى الدعوة المضافة اليه
اذ بعضهم ولا يبعد ان يراد بتبليغ الرسالة مطلق الرسالة دون
تبيين الاحكام الاصولية والفرعية وبالدعاء الى الملة تبليغ
الاحكام الاصولية كما يشعر به لفظ الملة وبالنصح لاهل الدعوة
تبليغ الاحكام المفصلة الشرعية الفرعية كما يشعر به لفظ النصح
هذا كلامه والله اعلم وَهَاجَرَ الى بِلَادِ الْغُرْبَةِ وَمَحَلِّ التَّنَائِي
عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ وَمَسْقَطِ رَاسِهِ وَمَأْنَسِ
نَفْسِهِ هاجر مهاجرة اذا خرج من ارض الى ارض والاسم الهجرة بالكسر
والضم قليل قال الواحدي المهاجر الذي فارق عشيرته ووطنه و
اصله من الهجر الذي هو ضد الوصل والبلاد بالكسر جمع بلدة مونث
بلد وهو من الارض ما كان ماوىً للانسان وان لم يكن فيه بناء و
وجمعه بلدان بالضم والغربة بالضم البعد والنوى غرب الشخص بالضم
غرابة كشرف شرافة بعد عن وطنه فهو غريب فعيل بمعنى فاعل وغربته
انا تغريبا فتغرب واغترب وغرب بنفسه ايضا تغريبا واغرب بالالف
دخل في الغربة والتنائي بالهمز البعد نأى نأيا من باب نفع بعد ويتعدى
بنفسه وبالحرف وهو الاكثر فيقال نأيته ونأيت عنه ويتعدى
بالهمزة الى ثان فيقال انأيته عنه والمراد ببلاد الغربة ومحل التنائي
مهاجره صلى الله عليه وآله وهو المدينة المنورة وجمعها بالبلاد
باعتبار ما حولها من القرى وقوله عن موطن رحله متعلق بهاجر ويحتمل
تعلقه بالتنائي والموطن الوطن وهو مكان الانسان ومقره والرحل
بفتح الراء وسكون الحاء المهملتين مركب للبعير وما يستصحبه المسافر
من الاثاث ورحل الشخص ماواه ومنزله في الحضر ومنه اذا ابتلت
النعال فالصلوة في الرحال واما قيل لامتعة المسافر رحل لانها
ماواه في السفر والمراد به هنا اما رحل البعير او اثاث المسافر

فيكون موطن رحله كناية عن مكان اقامته كما يقال محط رحله وملقى
رحله وفلان حط رحله والقى رحله اي اقام وان لم يكن له رحل ومأواه
ومنزله اي الموطن الذي فيه مأواه ومسكنه وموضع رجله كناية عن
منشئه ومرباه لانه اول موضع وضع فيه رجله حين نشأ واخذ يمشي كما
ان مسقط راسه كناية عن مولده والمسقط كمقعد ومنزل موضع
السقوط وسقط الولد من بطن امه خرج وانما اضيف المسقط الى الراس
لان اول ما يسقط من الولد راسه يقال هذا البلد مسقط راسي كم
خرجنا جميعًا من مساقط رؤسنا ❊ على ثقة منا بجود ابن عامر ❊
ولا ينافي ذلك ما ورد في بعض الاخبار ان من خصائصه صلى الله عليه
وآله وسلم انه وقع على قدميه حين الولادة لا على راسه تكريمًا له
وتعظيما لان مسقط راس الرجل صار كناية عن مولده سواء ولد على
راسه او على رجليه بناء على الغالب في الولادة على ان المشهور انه عليه
السلام وقع على الارض معتمدا على يديه رافعًا راسه الى السماء والله اعلم
والمأنس بفتح العين وكسرها محل الانس بالضم وهو ضد الوحشة اي
المحل الذي كانت تأنس به نفسه والمراد بموطن رحله الى حرم مكة شرفها
الله تعالى وقد كان يعز عليه صلوات الله عليه فراقها والهجرة عنها
روى انه لما خرج منها مهاجرًا التفت اليها فظن انه لا يعود اليها
ولا يراها بعد ذلك فادركته رقة وبكى فاتاه جبرئيل عليه السلام
وتلا عليه قوله تعالى إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ
و قيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى
مولده ومولد ابائه وحرم ابرهيم عليه السلام فنزل جبرئيل عليه السلام
فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه و روى عبد الله بن
الحمراء انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو واقف على راحلته
يقول مخاطبًا مكة والله لانك خير ارض الله واحبها الى الله ولولا
اني اخرجت منك ما خرجت بتصره فقيل في هذه الفقرات اشارة الى

انك خير ... التفضيل بين مكة والمدينة

ان

ان مكة شرفها الله افضل من سائر البقاع لانه صلى الله عليه وآله افضل
الانبياء فينبغي ان يكون موطنه ومنشاؤه ومولده ومادته افضل
الاماكن وقد اختلف العلماء من العامة في التفضيل بين مكة والمدينة
فذهب جمهورهم الى افضلية مكة وبعضهم الى افضلية المدينة ولكل
من الفريقين حجج عقلية ونقلية يطول ذكرها واجمعوا على ان الموضع
الذي ضم اعضاءه الشريفة افضل بقاع الارض والمستفاد من احاديث
اهل البيت عليهم السلام ان مكة افضل من سائر الارض وان الصلوة
في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله اما كون
مكة افضل من سائر الارض فيدل عليه ما رواه رئيس المحدثين في الفقيه
باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام قال احب الارض الى الله مكة وما
تربة احب الى الله عز من تربتها ولا حجر احب الى الله من حجرها ولا جبل احب
الى الله من جبالها ولا ماء احب الى الله من مائها واما كون الصلوة
في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فيدل
عليه صريحا ما رواه رئيس المحدثين ايضا في كتاب ثواب الاعمال باسناده
عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله صلوة في مسجدي تعدل عند الله عشرة آلاف صلوة في غيره
من المساجد الا المسجد الحرام فان الصلوة فيه تعدل مائة الف صلوة
وفي هذا المعنى اخبار اخر وقال شيخنا الشهيد قدس سره في الدروس
مكة افضل بقاع الارض ما عدا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وروي
في كربلاء على ساكنيها السلام مرجحات والاقرب ان مواضع قبور الائمة
عليهم السلام كذلك اما البلدان التي هم فيها فمكة افضل منها حتى
المدينة وروى صامت عن الصادق عليه السلام ان الصلوة في المسجد
الحرام تعدل مائة الف صلوة ومثله رواية السكوني عنه عن آبائه عليهم السلام
واختلفت الروايات في كراهة المجاورة بها واستحبابها والمشهور الكراهة
اما لخوف الملالة وقلة الاحترام واما لخوف ملابسة الذنوب فان

الذنب بها اعظم وعن الصادق عليه السلام كل الظلم فيها الحاد حتى ضرب
الخادم ولذلك كره الفقهاء سكنى مكة واما كيد وم شوقه اليها اذا لم يتيسر
خروجه منها ولهذا ينبغي الخروج منها عند قضاء المناسك و روى
ان المقام بها يقسي القلب والاصح استحباب المجاورة بها للواثق من
نفسه بعدم هذه المحذورات لما رواه ابن بابويه عن الصادق عليه السلام
من جاور بمكة سنة غفر الله له ذنبه ولاهل بيته ولكل من استغفر له
ولعشيرته ولجيرانه ذنوب تسع سنين قد مضت وعصموا من كل سوء
اربعين ومائة سنة و روى ان الطاعم بمكة كالصائم فيما سواها
وصيام يوم بمكة يعدل صيام سنة فيما سواها ومن ختم القرآن بمكة من
جمعة الى جمعة او اقل او اكثر كتب الله له من الاجر والحسنات من اول جمعة
كانت من الدنيا الى آخر جمعة تكون وكذا في سائر الايام وقال بعض
الاصحاب ان جاور للعبادة استحب وان كان للتجارة ونحوها كره جمعا
بين الروايات و روى محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام لا ينبغي للرجل
ان يقيم بمكة سنة وفيها اشارة الى التعليل بالملل وانه لا يكره اقل من
سنة الى هنا كلام الشهيد طاب ثراه ارادة منه لاعزاز دينك
واستنصارا على اهل الكفر بك الارادة هي العزم على الفعل او
الترك بعد تصوره وتصور الغاية المترتبة عليه من خير او نفع او
لذة ونحو ذلك وهي اخص من المشيئة لان المشيئة ابتداء العزم على الفعل
فنسبتها الى الارادة نسبة الضعف الى القوة والظن الى الجزم فانك
ربما شئت شيئا ولا تريده لمانع عقلي او شرعي واما الارادة فمتى
حصلت صدر الفعل لا محالة وقد يطلق كل منهما على الاخرى توسعا
وانتصابها على المفعول لاجله اي هاجر لاجل ارادته اعزاز دينك
اي لتقويته من العزة بمعنى الشدة والقوة وفي المحكم عززت القوم
واعززتهم وعززتهم قويتهم وفي التنزيل فعززنا بثالث اي قوينا
وشددنا انتهى او لاكرام دينك من عز على يعز عزا وعزة وعزازة

الدين

كرم واعز ذمة اكرمته والدين في اللغة الطاعة وفي العرف الشرعي
هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام ولما كان اتباع
الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد
مسمياته ولكثرة استعماله صار حقيقة دون سائر المسميات لانه
المتبادر الى الفهم حال الاطلاق لفظة الدين والاستنصار طلب النصرة
استنصره واستنصر به فنصره على عدوه اعانه وقواه وقولك به يحتمل
تعلقه به وبالكفر اذ يقال كفره وكفر به والمراد باهل الكفر اهل الملل
المتفرقة والاهواء المنتشرة الذين كانوا عند مقدمه صلى الله عليه
وآله كما قال امير المؤمنين صلوات الله عليه بعث الله محمدا صلى الله عليه
وآله لانجاز عدته وتمام نبوته ماخوذا على النبيين ميثاقه
مشهورة سماته كريما ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة
واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او
ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم
بمكانه من الجهالة قال بعض العلماء اعلم ان الخلق عند مقدمه
صلى الله عليه وآله اما من عليه اسم الشرايع او غيرهم اما الاولون
فاليهود والنصارى والمجوس وقد كانت اديانهم اضمحلت عن ايديهم
وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه
ومذهب التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله والمجوس اثبتوا اصلين اسندوا الى احدهما الخير والى
الثاني الشر وسموهما النور والظلمة وبالفارسية يزدان واهرمن
ثم زعموا انه جرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت
بينهما على ان يكون العالم السفلي خالصا لاهرمن الذي هو الظلمة
سبعة الاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى يزدان الذي هو النور
الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة

انواع اهل الكفر

والطرائق المتشتته فمنهم العرب كاهل بكر وغيرهم وقد كان منهم معطله
ومنهم محصله نوع تحصيل اما المعطله فصنف منهم انكروا الخالق و
البعث والاعاده وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى
القران عنهم وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا
الا الدهر وقصروا الموت والحيوة على تحلل الطبايع المحسوسه وتركبها
فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا
يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا
البعث والاعاده وهم المحكي عنهم في القران الكريم وضرب لنا مثلا
ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول
مرة وهو بكل خلق عليم وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من الاعادة
لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاوهم عند الله كما قال تعالى
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هولاء
شفعاونا عند الله ومن هولاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات [illegible]
وقريش وبنو كنانه وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنا
على صور الملائكه ويتوجه بها الى الملائكه ومنهم من كان يعبد الملائكه
كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما المحصله فقد كانوا في
الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ
والاديان والثاني علم تعبير الرويا والثالث علم الانواء وذلك
مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه ولم من قال
مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل
الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع في
كل الاحكام الى العقل وانكار الشرايع وانتسابهم الى رجل منهم يقال له
براهام ومنهم اصحاب البددة والبددة عندهم شخص في هذا العالم لم
يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم اهل الفكرة
وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات

الذين

الذين اثبتوا وسائط روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله في صورة
البشر من غير كتاب فتامرهم وتنهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم
عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهولاء يرجعون بالاخرة الى عبادة
الاصنام اذ لا تستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون
اليه في مهماتهم ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون
اصناما على صورها فكان الاصل في وضع الاصنام ذلك اذ يبعد ممن
له ادنى فطنة ان يعمل خشبا او حجرا بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق
لما عكفوا عليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعي وبرهان من
الله تعالى كان عكوفهم عليها وعبادتهم لها اثباتا لالاهيتها ووراء
ذلك من اصناف الاراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان تحصى
وهي مذكورة في الكتب المصنفة في هذا الفن ويدخل ادبابها جميعهم تحت
اهل الكفر حتى استتب له ما حاول في اعدائك واستتم له
ما دبر في اوليائك قال ابن الاثير في النهاية في حديث الدعاء
حتى استتب له ما حاول في اعدائك اي استقام واستمر وقال الجوهري
استتب له الامر اي تهيأ واستقام وقال الزمخشري في الاساس استتب
له الامر اي استقام وتم ويجوز ان يقال للاستقامة والتمام الاستتباب
اي طلب التباب لان التباب يتبع التمام اذ متى يريد بالتباب النقص و
الهلاك لان الشي اذا تم نقص وخلص فكانه هلك وحاول الشي اراده
وقيل المحاولة طلب الشي بحيله واستتم اي تم كمله واستقر قال
الرضي ولابد في استفعل من مبالغة ودبر الامر تدبيرا فعله عن فكر و
روية ماخوذ من الدبر كانه نظر في دبره اي في عاقبته واخرته ومفعولا
حاول ودبر محذوفان اي ما حاوله ودبره والمراد بما حاوله في
الاعداء غلبته عليهم والقهر لهم وبما دبر في الاولياء صدق رغبتهم
في الجهاد واجتماع قلوبهم عليه لما عرفهم من عظيم فضله وجزيل
اجره فهم حينئذ انهم سيغلبون وينتصرون كما يدل على ذلك قوله

عليه السلام فنهد اليهم مستفتحا بعونك ومتقويا على
ضعفه بنصرك نهد الى العدو نهودا من باب نفع وقتل نهض وبرز
والفاعل ناهد والجمع نهاد مثل كافر وكفار وناهدته مناهدة
ناهضته وتناهدوا في الحرب نهض بعضهم الى بعض للمحاربة ومستفتحا
اي مستنصرا وطالبا للفتح فالباء للاستعانة يقال فتح الله على نبيه
اي نصره وهو يستفتح الله للمسلمين على الكفار ويحتمل ان يكون بمعنى
مفتتحا والباء للملابسة اي مفتتحا للجهاد حال كونه ملتبسا بعونك
او للسببية اي بسبب عونك له ومتقويا اسم فاعل من تقوى اي صار
ذا قوة وعلى بمعنى مع اي مع ضعفه مثلها في قوله تعالى واتى المال على
حبه والضعف بالفتح والضم خلاف القوة وقيل هو بالضم في الجسد
وبالفتح في العقل والراي وروي عن ابن عمر انه قال قرات على النبي
صلى الله عليه وآله الذي خلقكم من ضعف بالفتح فاقراني من ضعف بالضم
والضعف محركة لغة في الضعف حكاها ابن الاعرابي والنصر الاعانة
على العدو وفيه اشارة الى ان استفتاحه عليه السلام وتقويه
على الكفار انما كان بعون الله ونصره لا بالاسباب الظاهرة والعدد
الذي دبره كما قد يتوهم من الفقرة السابقة فانها بمنزلة الكناية
وانما التاثير مختص به تعالى كما قال وما النصر الا من عند الله اي كائن
من عنده من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد
وانما هي مطابقة لما يوجب جريان السنة الالهية فغزاهم في عقر
ديارهم وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم غزاه غزوا اراده
وقصده كاغتزاه ومنه مغزى الكلام اي مقصده وغزا العدو
سار الى قتالهم وانتهابهم غزوا وغزوانا وغزاوة وقيل انما يكون
غزو العدو في بلاده وعقر الدار بضم العين وفتحها اصلها وقيل
وسطها قاله في المحكم وقال الازهري قال ابو عبيد سمعت الاصمعي
يقول عقر الدار بالضم في لغة اهل الحجاز فاما اهل نجد فيقولون

عقر بالفتح ومنه قيل العقار بالفتح وهو المنزل والارض والضياع
وقال بعضهم عقر الدار اصلها في لغة الحجاز وتضم العين وتفتح عندهم
وعقرها معظمها في لغة غيرهم وتضم لا غير وقال الزجاج عقر دار
القوم اصل مقامهم الذي عليه معولهم واذا انتقلوا منه بنجعة رجعوا
اليه والديار جمع دار وهي المحل يجمع البناء والعرصة والبلد قال الجوهري
الدار مؤنثة وانما قال تعالى ولنعم دار المتقين فذكر على معنى المثوى
كما قال تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فانث على المعنى وادنى العدد
ادؤر والهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة ولك ان لا تهمز والكثير
ديار مثل جبل واجبل وجبال ودور ايضا مثل اسد واسد انتهى
وهجم عليه هجوما من باب قعد دخل بغتة على غفلة منه وبحبوحة
الدار والمكان بالضم وسطه وبحبح وتبحبح اذا تمكن وتوسط المنزل
والمقام والقرار بالفتح المكان الذي يستقر فيه وهذا من جملة ما
حاوله عليه الصلوة والسلام في اعداء الله ودبره في اوليائه اذ
غزا الكفار في عقر ديارهم وبحبوحة قرارهم ليكون اعظم في ذلهم واشد
في هوانهم كما قال امير المؤمنين عليه السلام فوالله ما غزي قوم في
عقر دارهم الا ذلوا قيل وعلة ذلك ان للاوهام افعالا عجيبة في
الابدان تارة بزيادة القوة وتارة بنقصانها حتى ان الوهم ربما
كان سببا لمرض الصحيح لتوهمه المرض وبالعكس وكان السبب في ذلة
من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اما اوهامهم
فلانهم تحكم بانه لم يقدم على غزوهم في مكانهم الا لقوة غازيهم
واعتقاده فيهم الضعف بالنسبة اليه فتنفعل اذن نفوسهم عن
تلك الاوهام وتنقهر عن المقاومة وتضعف عن الانبعاث وتزول
غيرتها وحميتها فتحصل على طرق رذيلة الذل واما اوهام غيرهم
فلان الغزو الذي يلحقهم يكون باعثا لكثير من الاوهام على الحكم
بضعفهم ومحركا لطمع كل طامع فيهم فيثير ذلك لهم احكاما وهمية

تعجزهم عن المقاومة فتكون سببًا للانتصار عليهم والظفر بهم والايقاع
بهم اما الذين غزاهم صلى الله عليه وآله في عقر ديارهم فقبائل كثيرة منهم
بنو قينقاع بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحت وتثليث النون
والضم اشهر ثم قاف مفتوحة وبعد الالف عين مهملة وهي حي من
اليهود منازلهم عند جسر بطحان مما يلي العالية حاصرهم عليه السلام
في حصنهم حتى نزلوا على حكمه فربطهم ثم اجلاهم و غطفان غزاهم
بنجد فلما سمعوا بمسيره عليه السلام هربوا في رؤس الجبال وبنو
النضير قبيلة كبيرة من اليهود وكانوا اهل حصون وعقار ونخل
كثير غزاهم صلى الله عليه وآله في اماكنهم وحاصرهم في حصونهم خمسة
عشر يومًا فجهدهم الحصار فارسلوا اليه عليه السلام انا نخرج من
بلادك فامرهم بالخروج فخرجوا وانمار وثعلبة وغيرهم جمعوا
جموعًا لقصد المسلمين فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فمضى
اليهم حتى اتى محالهم بذات الرقاع فهربوا الى رؤس الجبال فلم يجد
المسلمون الا نسوة فاخذوهن واهل دومة الجندل قال السعدي
غزاها النبي صلى الله عليه وآله ونزل بساحة اهلها فلم يجدوا الا
الانعام والشياه فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من
اصاب وهرب في كل وجه من هرب وبنو المصطلق وهم بطن من خزاعة
غزاهم في قرارهم وهو ماء لهم يسمى المريسيع بالتصغير والعين المهملة
في اخره فهجم عليهم واغار وهم غارون وانعامهم تسقى على الماء
فقاتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وهم على الماء وبنو قريظة وهم
احدى قبائل اليهود غزاهم صلى الله عليه وآله في اماكنهم وحاصرهم
في حصنهم خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فنزلوا على ان
يحكم فيهم سعد بن معاذ بحكمه فحكم فيهم بقتل الرجال وغنم الاموال
وسبي الذراري والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لقد
حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع ارقعة فجاء بهم الى المدينة مقرنين

الذين غزاهم النبي صلى الله عليه وآله في عقر ديارهم

في

في الاستفادة ومنهم ثمانمائة رجل او اكثر ثم ضرب اعناقهم وبنو لحيان
غزاهم في منازلهم فهربوا وتمنعوا بشعف الجبال ويهود خيبر
غزاهم في ديارهم وحاصرهم في حصونهم حتى انزلهم من صياصيهم وكان
قدم عليهم ليلا فلم يشعروا بقدومه فلما اصبحوا فتحوا حصونهم
وخرجوا بمساحيهم ومكاتلهم الى اعمالهم فلما راوه قالوا هذا والله
محمد والخميس معه فولوا هاربين الى حصونهم وجعل صلى الله عليه
وآله يقول الله اكبر خربت خيبر فاذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين ثم حاصرهم حتى فتح الله عليه جميع حصونهم وهي عشرة
ويهود وادي القرى غزاهم وحاصرهم ليالي وفتح الوادي واصاب
المسلمون بها اموالا كثيرة وامتعة وميرة . وقريش غزاهم بمكة
وفتحها فكان الفتح المبين والنصر العزيز . وهوازن غزاهم بحنين
وثقيف غزاهم بالطائف هولاء الذين غزاهم صلى الله عليه وآله بنفسه
في عقر ديارهم وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم سوى غزواته الاخر
وسوى سراياه وكان جميع غزواته بنفسه الشريفة ستا وعشرين
غزوة وجميع سراياه ستا وثلثين سرية وتفصيل ذلك تتكفل به
كتب السير والله اعلم حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُكَ وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ
كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ظهر الشي يظهر من باب منع ظهورا تبين وبرز بعد
الخفاء وظهر عليه غلب وعلا واظهره الله وامر الله تعالى هنا دينه
وشريعته كما فسر به قوله تعالى وظهر امر الله وهم كارهون اي غلب
دينه وعلا والعلو الارتفاع والغلبة والقهر اي ارتفعت كلمتك
او غلبت وقهرت من قولهم علا فلان فلانا اذا غلبه وقهره و
كلمته تعالى قيل كلمة التوحيد وقيل الدعوة الى الاسلام قال تعالى
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا قال المفسرون
كلمة الذين كفروا هي دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام والسفلى
الدنية التي لا يبالى بها وكلمة الله هي دعوته الى الاسلام او كلمة

التوحيد لا اله الا الله واعليا العاليا الى يوم القيمة قوله عليه
السلام ولو كره المشركون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه
والجملة معطوفة على جملة قبلها المقدرة وكلتاهما في موضع الحال
اي اظهر امرك واعلي كلمتك لو لم يكره المشركون ذلك ولو كرهوه
اي على كل حال مفروض وقد حذفت الجملة في الباب حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع
فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا التركيب ورد ما في ان ولو
الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا على ان في صدر
الدعاء والمشركون هم الذين اشركوا بالله تعالى فجعلوا له شركاء
في العبادة قال العلماء وليس احد في العالم يثبت لله سبحانه شريكا
في الوجوب والعلم والقدرة ولكن الثنوية يثبتون الهين اثنين
حكيما يفعل الخير وسفيها يفعل الشر اما المتخذون معبودا سوى
الله تعالى فكثيرون منهم عبدة الكواكب وهم الصابية ومنهم عبدة
المسيح ومنهم عبدة الاوثان ولا دين باطل اقدم من دينهم لان
اقدم الانبياء الذين نقل الينا تاريخهم هو نوح عليه السلام وهو
لما جاء بالرد عليهم قالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا
وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ودينهم باق الى الان
وعبادتهم لها في مبدء الامر لم تكن لاعتقادهم فيها انها الهة اذ
العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه الساعة ليس هو الذي خلقني
وخلق السموات والارض علم ضروري فيمتنع اطباق جمع عظيم عليه
فوجب ان يكون لهم غرض اخر سوى ذلك وقد ذكروا فيه وجوها
احدها ان بعضهم كاهل الصين والهند كانوا مجسمة فاتخذوها
اشباها لله تعالى وملائكته واعتكفوا على عبادتها لقصد طلب
الزلفى الى الله وملائكته الثاني انهم اتخذوها اصناما للكواكب
وقصدوا بعبادتها عبادة الكواكب وهم بالحقيقة عبدة الكواكب

الثالث

الثالث ان اصحاب الاحكام اتخذوها طلاسم في اوقات مخصوصة
وعظموها لاعتقادهم الانتفاع بها الرابع انهم اتخذوها على صور
رجال كانوا يعتقدون فيهم اجابة الدعوة وقبول الشفاعة فعبدوها
على اعتقاد ان اولئك الرجال يكونون شفعاء لهم يوم القيمة عند
الله وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله الخامس لعلهم اتخذوها قبلة
لصلواتهم وعباداتهم يسجدون اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة
لا للقبلة السادس لعلهم كانوا حلولية فاعتقدوا وجوز حلول الرب
فيها فهذه الوجوه هي التي يمكن حمل مذهبهم عليها حتى لا يصير بحيث
يعلم بطلانه بالضرورة ثم لما تطاول الامد ونسي مبدأ الامر
ظن جهال القوم انها الهة لهم يجب عبادتها فعبدوها وسموها
الهة واشبهت حال من يعتقد انها الهة مساوية لله تعالى في ذاته
وصفاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فسموا مشركين وسمى الله
الهتهم اندادا تهكما بهم وتشنيعا عليهم فقال ولا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون اَللّٰهُمَّ فَارْفَعْهُ بِمَا كَدَحَ فِيكَ اِلَى الدَّرَجَةِ
الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ حَتّٰى لَا يُسَاوٰى فِي مَنْزِلَةٍ وَلَا يُكَافَاءَ فِي
مَرْتَبَةٍ وَلَا يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ
الفاء فصيحة اي اذا كان كذلك فارفعه والباء للسببية وما
مصدرية اي بسبب كدحه كقوله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم
هذا والكدح جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من
كدح جلده اذا خدشه وقيل في قوله تعالى يا ايها الانسان انك
كادح الى ربك كدحا فملاقيه ان المراد بالانسان محمد صلى الله عليه واله
والمعنى انك تكدح في تبليغ رسالات ربك فابشر فانك تلقى الله
بهذا العمل وفي في قوله فيك للتعليل اي لاجلك وظرفية على حذف
مضاف اي في سبيلك والدرجة المرقاة والطبقة والعليا اسم تفضيل
مونث الاعلى واصلها العلوى لانها من العلو فقلبت الواو ياء

تخفيفًا لما في كون الضمة في اول الكلمة والواو قرب الاخر من نوع
ثقل مع قصد الفرق بين الاسم والصفة فقلبت الواو ياء في الاسم
دون الصفة لكون الاسم اسبق من الصفة واما حكموا بان العليا
اسم لا صفة لانها لا تكون وصفا بغير الالف واللام فلا تقول درجة
عليا كما لا تقول دار دنيا بل الدرجة العليا والدار الدنيا فاجريت
مجرى الاسماء التي لا تكون وصفا لان الصفة لا تلزم حالة واحدة
واما شانها ان تكون مختلفة تارة نكرة وتارة معرفة فلما اختص
الوصف بها بحال التعريف كان كونها صفة كلا صفة ومثلها في ذلك
الدنيا قال ابن جني العليا والدنيا وان كانتا صفتين الا انهما
خرجتا الى مذهب الاسماء كالاجرع والابطح والجنة لغة البستان
من النخل والشجر المتكاثف لالتفاف اغصانها فعلة من جنه اذا ستره
كانها سترة واحدة لالتفافها وشرعا اسم لدار الثواب كلها ولما
كانت الجنة درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات كما قال تعالى
اولئك هم المؤمنون حقًا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق
كريم وقال سبحانه لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها
الانهار وكان من مقتضى عدل الله تعالى ان يبلغ نفسًا هي محل
اقصى ما استعدت له من درجات الكمال ويعدّها بذلك الكمال اعلى
دعائه صلى الله عليه وآله ان يرفعه تعالى الى الدرجة العليا التي
لا درجة اعلى منها وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة
فسلوا الله لي الوسيلة وفي خبر اخر الوسيلة درجة في الجنة ليس في
الجنة درجة اعلى منها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤوس الخلائق
فكان ما في الدعاء اشارة الى ذلك قوله عليه السلام حتى لا يساوى
في منزلته يجوز ان تكون حتى بمعنى كي التعليلية وان تكون بمعنى
الى ان وساواه مساواة ماثله وعادله قدرًا وقيمة ومنه قولهم هذا

يساوي درهما اي يعادل قيمته درهما واما قولهم يسوي درهما فليس عربيا صحيحا وقيل هي لغة قليلة والمنزلة المكانة عند الملك ونحو يقال له منزلة عند الامير وهي استعارة من موضع النزول قوله عليه السلام ولا يكافا في مرتبة كافا فلان فلانا مكافاة وكفاء ماثله وهو كفوه اي مماثله والمرتبة المنزلة والمكانة كالرتبة بالضم من رتب الشي رتوبا بمعنى ثبت قال الزمخشري في الاساس ومن المجاز لفلان مرتبة عند السلطان ومنزلة وهو من اهل المراتب وهو في اعلى الرتب انتهى والتنكير في الفقرتين للتعميم اي في شيء من المنازل والمراتب قوله عليه السلام ولا يوازيه لديك ملك مقرب الازاء المحاذاة والمقابلة قال الجوهري هو بازائه اي بحذائه وقد آزيته اذا حاذيته ولا تقل وازيته انتهى وفي اساس اللغة بنو فلان يوازون بني فلان اي يقاومونهم في كونهم ازاء للحرب وفلان لا يوازيه احد انتهى وما منعه الجوهري من قول وازيته اثبته بعضهم وقال انما الغة لاهل اليمن بتبديل الهمزة واوا فيقال وازيته ووازيته وهو المشهور على السنة الناس تبصرة قال بعضهم فائدة دعاء الامة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم برفعه الى الدرجة العليا و اقصى مراتب الزلفى ان الله سبحانه قد ولّه تلك الدرجة المنزلة باسباب منها دعاء امته ودعوتهم الحق بهم ان ينيله اياها وذلك بما نالوه على يديه من الايمان والهدى كما يدل عليه امره صلى الله عليه وآله وسلم لامته ان يسألوها له كما مر في حديث الوسيلة وانكر هذا جماعة من المتكلمين وخصوصا الاصحاب وجعلوا هذا من قبيل الدعاء بما وقع امتثالا لامر الله تعالى في قوله صلوا عليه وسلموا تسليما والا فهو صلى الله عليه وآله وسلم قد اعطاه الله من علو الدرجة وقرب المنزلة وعظيم الفضل والجزاء ما لا يؤثر فيه دعاء داع وجدا وعدما و فائدة الدعاء انما يعود الى الامة الداعين له لينالوا به زيادة الاعمال

فائدة دعاء الامة للرسول صلى الله عليه وسلم

ويستفيد وا بها الزلفى من الله تعالى وحسن الثواب كما جاء من صلى علي
واحدة صلى الله عليه عشرا ولعل الاقرب من الصواب ما قاله بعض
المحققين من اصحابنا انه لما كانت مراتب استحقاق نعم الله تعالى غير
متناهية كان غاية ذلك طلب زيادة كماله عليه السلام وقربه من الله
عز وجل وقد تقدمت الاشارة الى ذلك **وَعِتْرَتِهِ أَيْ أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ** عرفه
الامر تعريفا اعلمه اياه وعرفه بيته اعلمه بمكانه واما عرف به
فبمعنى وسمه قال صاحب المحكم قال سيبويه عرفته زيدا فذهب الى
تعديته عرفنا لتثقيل الى مفعولين يعني انك تقول عرفت زيدا
فيتعدى الى واحد ثم تثقل الراء فيتعدى الى مفعولين قال واما
عرفته بزيد فانما تريد عرفته بهذه العلامة واوضحته بها فهو سوى
المعنى الاول وانما عرفته بزيد كقولك سميته بزيد اسميته واهل
الرجل عشيرته واقاربه والمراد بهم هنا اهل الكساء مع باقي الائمة
الاثني عشر عليهم السلام لوصفهم بالطاهرين اي المنقين من الدنس
والرجس في الميلاد والاعمال المبرئين من المآثم والذنوب صغائرها
وكبائرها كما قال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اخرج الطبراني عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم قال لفاطمة عليها السلام ائتيني بزوجك وابنيه
فجاءت بهم فالقى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عليهم كساء
فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال اللهم هؤلاء اهل محمد وفي
لفظ ال محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على ال محمد كما جعلتها على
ال ابراهيم انك حميد مجيد قالت ام سلمة فرفعت الكساء لادخل
معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير وفي هذا المعنى روايات كثيرة
سياتي ذكر شيء منها ان شاء الله تعالى والشفاعة قيل هي اصلاح
حال المشفوع فيه عند المشفوع اليه وهذا دوري والاولى ان يقال

معنى الشفاعة

هي السؤال في التجاوز عن الذنب من الذي وقع الجناية في حقه
ويقال شفعت في الامر شفاعة اذا طالبت بوسيلة او ذمام والمراد
بحسن الشفاعة قبولها والرضا عمن شفع فيهم وتبشيره بذلك
بجزاله وعده به فيعرفه واقعاً متحققاً معرفة شهودية حضورية
وان كان هو الان به عالماً علماً يقينياً فان الاشياء قبل وجودها
تكون معلومة للعالم بها وبعد وجودها تكون مشهودة له وانما
استعمل التعريف في هذا المعنى لانه اذا شاهده عرف انه ذلك الذي
علم به من قبل فكانه عرفه اياه وما قيل من ان معنى عرفنا ذقنا بعيد
جداً وابعد منه قول بعضهم يجوز ان يكون من العرف بالفتح بمعنى الرائحة
الطيبة وان يكون من العرف بالضم بمعنى المعروف بل لا يكاد يصح وانما
دعا الله تعالى بذلك مع العلم بانه لا يخلف الميعاد لانه سأله اجل
الموعود وعدم الخلف يصدق على انجاز ادناه وان لوحظ مقام كرمه
تعالى فلا يكون اللائق بجليل شانه الا انجاز اجل ما وعد خصوصاً
مع احب خلقه اليه واكرمهم لديه فلان معظم الغرض في الدعاء اظهار
سيماء العبودية او المراد وفقنا اهل شفاعته للاعمال التي بها يصيرون
اهلاً لاجل ما وعدته به من حسن الشفاعة واعصمهم عما لا يستحقون
به ذلك كما في قوله تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فان قلت كيف تكون الشفاعة
في اهله الطاهرين وهم معصومون من جميع الذنوب وقد قال
عليه السلام انما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي واما المحسنون
فما عليهم من سبيل قلت قد علمت ان معظم الغرض في الدعاء اظهار سيماء
الافتقار والعبودية فلا منافاة او المراد بالشفاعة فيهم شفاعة
مخصوصة لا السؤال في التجاوز عن الذنوب ولذلك عبر بحسن الشفاعة
وسيأتي ان الشفاعة على اقسام منها رفع الدرجات وفي الحديث
انه لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وهو محتاج اليه صلى الله عليه واله

وسلم يوم القيمة ويحتمل ان يكون المراد بالشفاعة شفاعتهم لغيرهم
لا الشفاعة لهم وكذا شفاعة امته المؤمنين فتكون في من قوله في
اهله الطاهرين متعلقا بوعدته او مبني للصاحبة بمعنى مع كقوله تعالى
ادخلوا في امم اي معهم فيكون ظرفا مستقرا في محل النصب على الحال
من الضمير المنصوب في عرفه لا متعلقا بالشفاعة والمعنى عرفه
مع اهله الطاهرين وامته المؤمنين اجلها وعدته من حسن الشفاعة
في يوم القيمة فلا يكون المشفوع فيهم لم يذكر هنا وقد نقل اجماع
المفسرين في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا على ان
المقام المحمود هو مقام الشفاعة وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى
وترى كل امة جاثية كل امة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون
قال ذاك النبي عليه السلام وعلي يقوم على كوم قد علا على الخلايق
فيشفع ثم يقول يا علي اشفع فيشفع ويشفع الرجل في القبيلة
ويشفع الرجل في اهل البيت ويشفع الرجل للرجلين على قدر عمله
فذلك المقام المحمود وعنه عليه السلام في قوله تعالى وبشر الذين
امنوا ان لهم قدم صدق قال شفاعة النبي والذي جاء بالصدق
شفاعة علي اولئك هم الصديقون شفاعة الائمة وروى ان اقل
المؤمنين شفاعة من يشفع في ثلثين الفا والاخبار في ذلك كثيرة وان
حملت معنى اهله الطاهرين عليهم السلام على الذين هم اعم من المعصومين
عليهم السلام وفسرت الطهارة بالطهارة في الميلاد والنسب فلك
جعل الشفاعة فيهم وفي امته المؤمنين وكلمة في متعلقة بالشفاعة
فيكون اهله وامته هم المشفوع فيهم كما روي عنه عليه السلام انه
قال اول من اشفع له يوم القيمة اهل بيتي ثم الاقرب فالاقرب و
عن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ولسوف
يشفعك يا محمد يوم [illegible] القيمة في جميع اهل بيتك فتدخلهم كلهم
الجنة ترضى بذلك عن ربك وعن علي عليه السلام انه قال لبسط الله عليه

كل امة

والمتوكل

انه قال

حصر الشفاعات

وآله وسلم اذن لا ارضى و واحد من امتي في النار وعن الصادق عليه السلام
رضي جدي صلى الله عليه وآله وسلم ان لا يدخل النار موحدًا ولقد اغرب
من زعم ان المراد بحسن الشفاعة الحسنة في قوله تعالى من
يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن
له كفل منها ثم قال وقد فسرت الشفاعة الحسنة بالشفاعة فيما يجوز
في الدين والدعاء للمؤمنين وان يصير الانسان شفيع صاحبه
في جهاد عدوه لتحصيل الغنيمة عاجلًا والثواب اجلًا والاصلاح
بين الاثنين والشفاعة السيئة بعكس هذا قال والتفسير الاخير
بعيد في هذا المقام انتهى كلامه ولا يخفى بعده عن الصواب تتمة
قال بعض العلماء الشفاعات خمس الاولى الاراحة من هول الموقف
وهذه يشترك فيها جميع الامم كما دلت عليه الاخبار الثانية في ادخال
قوم الجنة بغير حساب الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا
العذاب ان لا يعذبوا الرابعة في اخراج من ادخل النار من العصاة
الخامسة في رفع الدرجات وانكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة
الرابعة وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وبقوله
تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع واجيب بان هذه الآيات
في الكفار ومذهب اصحابنا والاشاعرة جواز الشفاعة عقلًا ووجوبها
سمعًا لصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولًا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقد جاءت
الاخبار التي بلغت التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين
جعلنا الله ممن تناله شفاعة نبيه وآله الطاهرين صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ
بِاَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ اِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ نافذ العدة
بالذال المعجمة اي ماضيها من نفذ السهم كقعد نفوذًا اذا خرق الرمية
وخرج منها اي لا خلف لعدتك بل هي ماضية لا مرد لها كالسهم النافذ

العدة والكلام على الوعد والوعيد والايعاد

لا مرد له ولا وقوف والعدة الوعد واصلها وعدة بالكسر استثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى العين ثم حذفت الواو ولزمت تاء التانيث عوضا منها قال الفراء يقال وعدته خيرا ووعدته شرا باسقاط الالف فاذا اسقطوا الخير والشر قالوا في الخير وعدته وفي الشر اوعدته بالالف وفي الخير الوعد والعدة وفي الشر الايعاد والوعيد فاذا قالوا اوعدته بالشر اثبتوا الالف مع الباء قال صاحب المحكم وقال ابن الاعرابي اوعدته خيرا بالالف وهو نادر وانشد

يبسطني مرة ويوعدني فضلا طريفا الى اياديه

انتهى والخلف في الوعد عند العرب كذب وفي الوعيد كرم قال الشاعر

اذا وعد السراء انجز وعده وان اوعد الضراء فالعفو مانعه

ولخفاء الفرق في ذلك من كلام العرب انتحل بعض اهل البدع القول بوجوب الوعيد قياسا على الوعد لجهلهم باللغة العربية وقد نقل ان ابا عمرو بن العلاء نبه عمرو بن عبيد وهو طاغية المعتزلة على ذلك فلم يقبل حكى المبرد عن ابي عثمان المازني قال حدثني محمد بن مسعر قال جمعنا بين ابي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في مسجدنا فقال له ابو عمرو ما الذي يبلغني عنك في الوعيد فقال ان الله وعد وعدا واوعد ايعادا فهو منجز وعده ووعيده فقال ابو عمرو ابيت ابا عثمان الا العجمة ولا اعني عجمة لسانك ولكن فهمك ان العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الوعيد كرما وانشد

واني اذا اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وذلك ان الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن اسقط حق نفسه فقد اتى بالجود والكرم ومن اسقط حق غيره فذلك هو اللوم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على ان كل ما ورد من وعيد الفساق فهو مشروط بعدم العفو كما انه مشروط بعدم التوبة وفاقا فلا يلزم من تركه الكذب في كلام الله تعالى و وافي القول اي صادق يقال

في اواخر سورة الفرقان

وفي واد في جهنم والقول الكلام وقيل القول في الخير والقال و
القيل والقال في الشر قوله عليه السلام يا من يبدل السيئات
باضعافها من الحسنات اشارة الى قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات عن ابن عباس والحسن
ومجاهد وقتادة ان هذا التبديل انما يكون في الدنيا فيبدلهم بالشرك
ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا فبشرهم
الله تعالى انه يوفقهم لهذه الاعمال الصالحة اذا تابوا وامنوا وعملوا
سائر الاعمال الصالحات وقال الزجاج السيئة بعينها لا تصير حسنة
ولكن السيئة تمحى بالتوبة وتكتب الحسنة مع التوبة وذهب سعيد بن
جبير الى ظاهر الاية وهو ان الله تعالى يمحو السيئة عن العبد ويثبت له
بدلها الحسنة واكد هذا الظاهر بما روي مرفوعا ليتمنين اقوام انهم
اكثروا من السيئات قيل من هم يا رسول الله قال الذين يبدل سيئاتهم
حسنات قال القاضي والقفال انه تعالى يبدل بالعقاب الثواب
فذكر السبب واراد المسبب وقيل يبدل بملكة المعصية ودواعيها
في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وروى علي
بن ابراهيم عن ابيه عن ابي جعفر وابراهيم عن ابي الحسن الرضا عليه السلام
قال اذا كان يوم القيمة اوقف الله المؤمن بين يديه وعرض عليه عمله
فينظر في صحيفته فاول ما يرى سيئاته فيتغير عند ذلك لونه فيقول
الله عز وجل بدلوا سيئاته حسنات واظهروها للناس فيبدلها الله
لهم فيقول الناس اما كان لهؤلاء سيئة واحدة وهو قوله تعالى
يبدل الله سيئاتهم حسنات وفي رواية عن الصادق عليه السلام اذا
كان يوم القيمة تجلى الله تعالى لعبده المؤمن فيقفه على ذنوبه
ذنبا ذنبا ثم يغفر له لا يطلع على ذلك ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
ويستر عليه ما يكره ان يقف عليه احد ثم يقول لسيئاته كوني حسنات
وروى مسلم في صحيحه مرفوعا الى ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله

عليه واله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيمة فيقال اعرضوا عليه صغار
ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا كذا وكذا وهو مقر
لا ينكر وهو مشفق من الكبار فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة
فيقول ان لي ذنوبا ما اراها هيهنا قال ولقد رايت رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فان قلت الاية انما دلت على
تبديل السيئات حسنات فما بال الاضعاف الواقع في الدعاء قلت
اما على القول بان هذا التبديل يكون في الدنيا اما بالتوفيق للاعمال
الصالحة بعد الاعمال السيئة كما نقل عن ابن عباس واما تبديل ملكة
المعصية بملكة الطاعة فوجه الاضعاف ظاهر لان من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها بنص الكتاب واما على القول بان التبديل يكون في
الاخرة كما دلت عليه الاخبار المذكورة فالظاهر انه اذا بدل سيئة
العبد حسنة فكانه جاء بالحسنة وقد قال تعالى من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها ويفضل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير ولذلك ختم
الدعاء بقوله عليه السلام انك ذو الفضل العظيم تذييلا لما سبق
وتقريرا لمضمونه والفضل الخير والاحسان ابتداء والعظيم ضد الحقير
كما ان الكبير ضد الصغير وكما ان الحقير دون الصغير فكذلك
العظيم فوق الكبير ويستعملان في الصور والمعاني يقال رجل عظيم
وكبير اي جثة او قدرا وهو هنا صفة للفضل كما وقع في التنزيل
مكررا والله ذو الفضل العظيم ووقع في نسخة مضبوطا بالضم
على انه صفة له تعالى والاول انسب بالمقام وفيه ايذان بان جميع
الاحسان الواقع والمرجو رشحة من بحار افضاله وعظيم احسانه
ونواله وان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لعدم استعداد
المحروم وقابليته نسأل الله ان لا يحرمنا من فضله العظيم وجوده
العميم بجاه نبيه الكريم واهل بيته الطاهرين صلوات الله و
سلامه عليه وعليهم اجمعين والحمد لله رب العالمين

قال مؤلفه العبد علي بن احمد الحسيني كان الله تعالى له هذا اخر
الروضة الثانية عشر من رياض السالكين من شرح صحيفة سيد
العابدين ويتلوه بعون الله وتوفيقه الروضة
الثالثة في شرح دعائه عليه السلام
في الصلوة على حملة العرش وكل
ملك مقرب ولله الحمد
والصلوة على رسوله
واهل بيته
اجمعين
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله جاعل الملائكة رسلاً اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ۝
والصلوة والسلام على رسوله الذي اشرقت بنور هدايته البقاع
والرباع ۝ وعلى آله وعترته الذين الزم طاعتهم من شرق وغرب ۝
وعلى حملة العرش وكل ملك مقرب وبعد فهذه الروضة الثالثة
من رياض السالكين ۝ تتضمن شرح الدعاء الثالث من ادعية صحيفة
سيد العابدين ۝ صلوات الله عليه وعلى آبائه وابنائه الطاهرين ۝
املاء راجي فضل ربه السني علي الصدر الحسيني الحسني ۝ اصلح الله
اعماله ۝ وبلغه بفضله اماله وكان من دعائه عليه السلام في الصلوة
على حملة العرش وكل ملك مقرب اختلف الناس في حقيقة الملائكة
على اقوال احدها وهو قول المحققين من المتكلمين انها اجسام
لطيفة نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة
والافعال الشاقة والتشكل باشكال مختلفة ذوات عقول وافهام
مسكنها السموات وبعضها عند الله اقرب من بعض واكمل درجة كما قال
تعالى حكاية عنهم وما منا الا له مقام معلوم والى هذا القول ذهب
اكثر المسلمين وفي اخبار اهل البيت عليهم السلام ما يدل عليه الثاني
وهو قول عبدة الاوثان انها هي هذه الكواكب الموصوفة بالسعود
والنحوس وانها احياء ناطقة فالمسعدات ملئكة الرحمة والمنحسات
ملئكة العذاب الثالث وهو قول معظم المجوس والثنوية القائلين
بالنور والظلمة وانهما جوهران حساسان قادران متضادان في
النفس والصورة مختلفان في الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل
خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمنع ويحيي

بانوار

ولا يلي والظلمة ضد ذلك فالنور يولد الاولياء وهم الملائكة
لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء و
جوهر الظلمة يولد الاعداء وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه
الرابع قول من قال انها ليست باجسام بل جواهر متحيزة ثم اختلفوا
فقال بعضهم وهم طوائف من النصارى انها هي النفوس الناطقة
المفارقة لابدانها فان كانت خيرة صافية فهم الملائكة وان كانت
شريرة كثيفة فهي الشياطين وقال آخرون وهم الفلاسفة انها مخالفة
لنوع النفوس الناطقة البشرية وانها اكمل قوة واكثر علما ونسبتها
الى النفوس البشرية نسبة الشمس الى الاضواء فمنها نفوس ناطقة
فلكية ومنها عقول مجردة ومنهم من اثبت انواعا اخر من الملائكة
وهي الارضية المدبرة لاحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها
الشياطين ولكل من الفرق ادلة على ما ذهب اليه يطول ذكرها تبصرة
الايمان بالملائكة واجب قال تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وروي عنه صلى الله عليه واله
حين سئل عن الايمان انه قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
والايمان بالملائكة يتضمن معاني احدها التصديق بوجودهم
فاما البحث عن انها روحانية محضة او جسمانية محضة او مركبة من
القسمين وبتقدير كونها جسمانية فلطيفة او كثيفة وان كانت
لطيفة فنورانية او هوائية او بعضها نوراني وبعضها هوائي كما ذهب
اليه طائفة فليس بواجب لان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات
ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من حيث انهم عباد مكرمون
لعز شانهم المتوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء
الوحي الثاني انزالهم منازلهم واثبات انهم عباد الله وخلقه كالانس
والجن مامورون مكلفون لا يقدرون الا على ما اقدرهم الله عليه
وانهم معصومون وان لذتهم بذكر الله وحبورهم بمعرفته وطاعته

والموت جائز عليهم ولكن الله جعل لهم امدا بعيدا فلا يتوفاهم
حتى يبلغوه ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به الى اشراكهم بالله
تعالى ولا يدعون الهة كما ادعتهم الاوائل الثالث الاعتراف
بان منهم رسلا يرسلهم الله الى من يشاء من البشر وقد يجوز ان يرسل
بعضهم الى بعض ويتبع ذلك الاعتراف بان منهم حملة العرش ومنهم
الصافون ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار ومنهم كتبة
الاعمال ومنهم الذين يسوقون السحاب فقد ورد القران بذلك
كله او باكثره وقد اشار سيد العابدين صلوات الله عليه الى جملة
من انواعهم في هذا الدعاء كما ستقف عليه فائدة قال سعيد بن
المسيب وغيره الملائكة ليسوا بذكور ولا اناث ولا يتوالدون ولا
ياكلون ولا يشربون والجن يتوالدون وفيهم ذكور واناث و
يموتون والشياطين ذكور واناث ويتوالدون ولا يموتون
حتى يموت ابليس قال سيد العابدين وامام الموحدين صلوات
الله وسلامه عليه وعلى ابائه وابنائه الطاهرين اللهم وحملة
عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك ولا يسامون من
تقديسك الواو للاستيناف وما بعدها مبتدا خبره قوله فيما ياتي
فصل عليهم والذين في محل رفع صفة لحملة عرشك الذي هو المبتدا
وقول بعض طلبتنا انهم مبتدا او الذين خبره خطا محض فاحذره و
الحملة بفتحتين جمع حامل وهذا البناء مطرد في كل وصف لمذكر
عاقل صحيح اللام نحو كامل وكملة وساحر وسحرة وسافر وسفرة
فان قلت هذا البناء من ابنية الكثرة وهي ما جاوز العشرة وحملة
العرش دون العشرة كما سياتي فكيف استعمل فيه قلت قد يستغنى
ببعض ابنية الكثرة عن بناء القلة وبالعكس وضعا بان تكون العرب
لم تضع احد البنائين استغناء عنه بالاخر كما وقع هنا فانها لم تضع
لحامل ونحوه جمع قلة او استعمالا بان تكون وضعتهما معا ولكنها

العرش وحملته

استعملت في بعض المواضع احدهما مكان الاخر انكالا على القرينة والعرش
في اللغة سرير الملك ومن البيت سقفه كالعريش والخيمة والبيت
الذي يستظل به وعرش الله تعالى يطلق على معنيين احدهما علمه تعالى
وحملته ثمانية اربعة من اهل البيت عليهم السلام واربعة من غيرهم
كما رواه ثقة الاسلام في الكافي باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام
قال حملة العرش والعرش العلم ثمانية اربعة منا واربعة ممن شاء الله
وقال الصدوق قدس سره في كتاب العقايد اما العرش الذي هو العلم
فحملته اربعة من الاولين واربعة من الاخرين فاما الاربعة من الاولين
فنوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام واما الاربعة من الاخرين
فمحمد وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين هكذا روى
بالاسانيد الصحيحة عن الائمة عليهم السلام في العرش وحملته وانما
صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم لان الانبياء الذين
كانوا قبل نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم على شرائع الاربعة من
الاولين نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومن قبل
هؤلاء صارت العلوم اليهم وكذلك صار العلم من بعد محمد صلى الله
عليه واله وسلم وعلي والحسن والحسين عليهم السلام الى من بعد الحسين
من الائمة عليهم السلام انتهى بنصه الثاني وهو المراد هنا الجسم
المحيط بالكرسي المحيط بالسموات السبع وما بينهما كما روي عن
ابي عبد الله عليه السلام كل شيء خلق الله في جوف الكرسي والكرسي
محيط به خلا العرش فانه اعظم من ان يحيط به الكرسي قال بعضهم
ولعل العرش هو الفلك الاعظم والكرسي هو الفلك المشهور بفلك
البروج وفي رواية عن النبي صلى الله عليه واله وسلم ما السموات
السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش
على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة قال الصدوق طاب
ثراه اعتقادنا في العرش انه جملة الخلق وروي في كتاب الخصال

باسناده عن حفص بن غياث النخعي قال سمعت الصادق عليه السلام
يقول ان حملة العرش ثمانية لكل واحد منهم ثمانية اعين كل عين طباق
الدنيا و عن الصادق عليه السلام ان حملة العرش اربعة احدهم على
صورة ابن ادم يسترزق الله لولد ادم والثاني على صورة الديك
يسترزق الله للطير والثالث على صورة الاسد يسترزق الله للسباع
والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم ونكس الثور راسه
منذ عبد بنو اسرائيل العجل فاذا كان يوم القيمة صاروا ثمانية و
من طريق العامة عن ابن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم العرش يحمله اليوم اربعة ويوم القيمة ثمانية و عن وهب
قال حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدوا باربعة
اخرى و عن ابن زيد لم يسم من حملة العرش الا اسرافيل قال وميكائيل
ليس من حملة العرش و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم ان ملكا من حملة العرش يقال له اسرافيل زاوية من زوايا
العرش على كاهله قد مرقت قدماه في الارض السابعة السفلى
ومرق راسه من السماء السابعة العليا و من خطبة لامير المؤمنين
عليه السلام في صفة حملة العرش من الملائكة عليهم السلام ومنهم
الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا
اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش
اكنافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة
بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم
بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن
ولا يشيرون اليه بالنظاير وقوله عليه السلام المناسبة لقوائم
العرش اكتافهم يفيد ان للعرش قوائم غير الحاملين وكذلك روى
عن الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام قال ان بين القائمة من
قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف

قوائمهم

عام

عام واعلم ان من قال بان الملائكة اجسام كان حمل صفاتهم المذكورة
على ظاهرها امرا ممكنا اذ الله تعالى قادر على جميع الممكنات واما
من نزههم عن الجسمية فهو يبسط على ذلك كله التاويل بما ذكره
يفضي بنا الى التطويل قوله عليه السلام لا يفترون عن تسبيحك
فتر يفتر ويفتر من باب قعد وضرب فتورا سكن بعد حدة ولان
بعد شدة وفتر الماء سكن حره وفتر جسمه لانت مفاصله وضعف
والفترة محركة الضعف والتسبيح مصدر سبح اذا قال سبحان الله والتنزيه
يقال سبحت الله اذا نزهته عما يقول الجاحدون فهو بمعنى التبعيد من
سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ويكون بمعنى الذكر يقال
فلان يسبح الله اي يذكره باسمائه نحو سبحان الله وبمعنى الصلوة هو
يسبح اي يصلي ومنه فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين وفيه
اشارة الى قوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون قال المفسرون
اي ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما لا يلحقهم
فتور ولا كلال لان الفتور هو وقوف الاعضاء البدنية عن العمل
وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها الى الاستراحة
وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صدق سلبه عنهم وقيل
معنى لا يفترون لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا بفراغ او بشغل اخر
واورد عليه انهم قد يشتغلون باللعن كما قال تعالى اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة واجيب بان التسبيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم
عنه الاشتغال بشيء اخر واعترض بان الة التنفس لنا مغايرة لالة
التكلم فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم واجيب بانه لا استبعاد في ان
يكون لهم السن كثيرة او يكون المراد بعدم الفترة انهم لا يتركون التسبيح
في اوقاتها اللائقة به وروى محمد بن الحسن الصفار عن ابراهيم بن
هاشم عن ابي عبد الله البرقي يرفعه الى ابي عبد الله عليه السلام قال
رجل لابي عبد الله جعلت فداك اخبرني عن قول الله تبارك وتعالى

دما وصف من الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ثم قال ان
الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما كيف لا يفترون وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فقال ابو عبد الله عليه السلام ان الله تبارك وتعالى لما خلق محمدا
امر الملائكة فقال انقصوا من ذكري بمقدار الصلوة على محمد فقول
الرجل صلى الله على محمد في الصلوة مثل قوله سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر و في بعض الاخبار ان حملة العرش يتجاوبون
بصوت رخيم يقول اربعة منهم سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك
واربعة يقولون سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك وعن
الصادق عليه السلام قال انفاسهم تسبيح وفي رواية ليس شيء من
اطباق اجسادهم الا ويسبح الله ويحمده من ناحيته باصوات مختلفة
ومن الغريب ما اخرجه ابن ابي شيبة في المصنف عن ابي امامة قال
ان الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية ذكر ذلك الجلال
السيوطي في الحبائك قوله عليه السلام ولا يسامون من تقديسك
سئم الشيء ومنه كفرح سأما وسأما بالتحريك وسآمة بالمد ضجر ومل
وفي التنزيل لا يسأم الانسان من دعاء الخير والتقديس تنزيه
الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه من قدس
في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر
الشيء مبعد له من الاقذار فالتسبيح بمعنى التنزيه والتقديس راجعان
الى معنى واحد وهو تبعيد الله عن السوء اما في الذات ويحصل
بنفي الامكان المستلزم لنفي الكثرة المستلزم لنفي الجسمية والعرض
والضد والند واما في الصفات بان يكون مبرا عن العجز والجهل
والتغيرات محيطا بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات واما
في الافعال بان لا تكون افعاله عبثا ولا لجلب المنافع اليه ولا لدفع
المضار عنه وقال بعضهم بين التسبيح والتقديس فرق وهو ان التسبيح

هو التنزيه عن الشريك والعجز والنقص والتقديس هو التنزيه
عما ذكر وعن التعلق بالجسم وقبول الانفعال وشوائب الامكان
وامكان التعدد في ذاته وصفاته وكون الشيء مزكا لا انه بالقوة
فالمتقاربان اعم اذ كل مقدس مسبح من غير عكس وذلك لان الابعاد
من الذهاب في الارض اكثر من الابعاد من الذهاب في الماء فالملائكة
المقربون الذين هم ارواح مجردة بتجردهم وامتناع تعلقهم وعدم
احتياجهم عن نورد بهم وقتررهم لما تحتهم بافاضة النور عليه وتاثيرهم
في غيرهم وكون كل كمالاتهم بالفعل مسبحون مقدسون وغيرهم من
الملائكة السماوية والارضية ببساطة ذواتهم وخواص افعالهم
وكمالاتهم مسبحون بل كل شيء مسبح وليس بمقدس ويقال سبوح
قدوس ولا ينعكس انتهى وفي نفي السآم عنهم تلميح الى قوله تعالى يُسَبِّحُونَ لَهُ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ وانما كان السآم والملال منفيا عنهم
لانه عبارة عن اعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعية
عن افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية وفي بعض
الاخبار ليس لحملة العرش كلام الا ان يقولوا قدوس واسرا القوى ملأت
عظمته السموات والارض وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ وَلَا
يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدِّ فِي أَمْرِكَ وَلَا يَغْفُلُونَ عَنِ الْوَلَهِ
إِلَيْكَ لا يستحسرون اي لا يتعبون ولا يعيون من حسر حسورا كضرب
وفرح اي تعب واعيا وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى
الحسور ولكنه اتى بصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور
للتنبيه على ان عبادتهم لثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع
ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله
في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد
لافادة نفي كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة
في الظلم مع ثبوت اصل الظلم في الجملة وفيه اشارة الى قوله تعالى ومن

عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون واثر الشي بالمد اختاره
وفضّله والتقصير في الامر التواني فيه وهو خلاف الجدّ فيه والمعنى
انهم لا يختارون الراحه على تعب العباده فيقصروا ويتهاونوا في
عبادته تعالى وقيل المقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب
والراحة لكونهما من توابع هذه الابدان الحيوانية والغفلة عدم
التفطن للشيء وغيبته عن البال وقد استعمل فيمن تركه اهمالا واعراضا
كما في قوله تعالى وهم في غفلة معرضون يقال غفلت عن الشيء من باب
قعد غفولا وغفلة وغفلا بالتحريك واغفلته اغفالا تركته اهمالا
لا لعدم التفطن له وتغافل اري من نفسه ذلك وليس به والوله الى
الشي الحنين اليه يقال وله الام الى ولدها تله وتوله من بابي وعد
وتعب ولها بالتحريك اذا حنت اليه وايضا الوله بمعنى ذهاب العقل
من فرح او حزن فانما يعدى بعلى فيقال وله عليه والمراد بوله الملائكة
اليه سبحانه محبتهم وعشقهم له وصدق رغبتهم فيما عنده فهو من
باب اطلاق اللزوم وارادة اللازم ولما كانت الغفلة من لواحق
القوى الانسانية وجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة السماوية
لسلب مروضها عنهم وكل ذلك اشارة الى كمال مراتبهم في صنوف عباداتهم
وتاكيدها بعدم النقصانات اللاحقة فان كلا من هذه الصفات
المنفية لو وجد كان نقصانا فيما يتعلق به واعراضا عن الجهة المقصودة
تنبيه في قوله عليه السلام ولا يؤثرون التقصير على الجد في امرك
دلالة على ان الملائكة عليهم السلام قادرون على التقصير لكنهم
لا يؤثرونه اختيارا للجد عليه وتفاديا منه والمسئله محل خلاف
فذهب الفلاسفة واهل الجبر الى انهم خير محض وانهم مطبوعون
على الطاعات لا قدرة لهم على الشرور والمعاصي وذهبت المعتزلة
وجمهور الامامية الى انهم قدرة على الامرين بدليل قوله تعالى ومن
يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم وهذا يقتضي كونهم

مرحومين وقوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته والمدح بترك الاستكبار
انما يحسن لو كانوا قادرا على الاستكبار ولولا ذلك ما استحقوا ثوابا
على طاعاتهم اذ لو كانوا مطبوعين على الطاعات لم يكن عليهم مشقة
في التكليف فلم يستحقوا ثوابا والتكليف انما يحسن في كل مكلف تعريضا
للثواب فلا بد ان يكون لهم شهوات فيما حظر عليهم ونفار عما اوجب
عليهم حتى تحصل فائدة التكليف والله اعلم وَاِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ
الشَّاخِصُ الَّذِي يَنْتَظِرُ مِنْكَ الْاِذْنَ وَحُلُولَ الْاَمْرِ فَيُنَبِّهُ بِالنَّفْخَةِ
صَرْعَى رَهَائِنِ الْقُبُورِ اسرافيل عطف على حملة عرشك وهو بكسر الهمزة
اسم اعجمي مركب مضاف الى ايل بالكسر وهو اسم الله تعالى بالعبرانية
قيل هو رباعي وقيل خماسي والهمزة اصلية اخرج ابن جرير عن العلامة عن
علي بن الحسين عليهما السلام قال كل شيء يرجع الى ايل فهو عبد الله
عز وجل قال الاخفش ويقال في لغة اسرافين بالنون كما قالوا جبرين
واسماعين واسرائين وانما افرده بالذكر مع انه من جملة حملة العرش
كما تقدم في بعض الاخبار لاظهار فضله كانه من جنس اخر اشرف مما ذكر
تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس ولاختصاصه
دونهم بكونه صاحب الصور خصه بالذكر من بينهم ليترتب عليه الوصف
المختص به وفي تقديمه على من بعده في الذكر دلالة على تفضيله ويدل
عليه ايضا ما روي عن النبي صلى الله عليه واله ان ملك الله الذي يليه
اسرافيل وعن ابن مسعود ان اقرب الخلق من الله اسرافيل وعن الهذلي قال
ليس شيء اقرب الى الله من اسرافيل وبينه وبين الله سبعة حجب والصور بالضم
القرن ينفخ فيه والشاخص فاعل من شخص كمنع شخوصا ارتفع او من شخص
بصره اذا فتح عينه لا يطرف وربما بالباء فقيل شخص ببصره فهو شاخص
والاذن بالكسر اسم من اذنت له في كذا اطلقت له فعله وحلول الامر
نزوله او انتهاء اجله من حل الدين اذا انتهى اجله ووجب اداؤه ويقال
حل امر الله عليه اي وجب اخرج ابو الشيخ عن وهب قال خلق الله الصور

يرجّع

غُدّي

من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاج ثم قال للعرش خذ الصور فتعلق
به ثم قال كن فكان اسرافيل فامره ان ياخذ الصور فاخذه وبه ثقب
بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة لا تخرج روحان من ثقبة واحدة
وفي وسط الصور كوة كاستدارة السماء والارض واسرافيل واضع
فمه على تلك الكوة ثم قال له الرب قد وكلتك بالصور فانت للنفخة
وللصيحة فدخل اسرافيل في مقدم العرش فادخل رجله اليمنى تحت
العرش وقدم اليسرى ولم يطرف منذ خلقه الله لينتظر ما يؤمر به
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنا جبهته واصغى سمعه
ينتظر متى يؤمر فينفخ قالوا فما نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا
الله ونعم الوكيل وروى عنه صلى الله عليه واله وسلم انه قال لما فرغ
الله من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل عليه السلام
فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش متى يؤمر قيل يا رسول
الله ما الصور قال القرن قيل كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده
ان عظم داره فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ
نفخة لا يبقى عندها في الحيوة احد الا من شاء الله وذلك قوله
تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من
شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام
وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والى
النفخة الثانية اشار سيد العابدين بقوله فينبه بالنفخة صرعى
رهائن القبور الفاء عاطفة سببية والمعطوف عليه محذوف والمقدر
فينفخ فينبه كقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر فانفجرت والتنبيه
الايقاظ من النوم ولما كان الموت شبيها بالنوم حتى اطلق لفظ
الموت عليه فقيل مات بمعنى نام وفي الحديث كما تنامون تموتون
استعار التنبيه لبعث الاموات والنفخة المرة من نفخ بفمه اذا اخرج

اي فضرب فانفجرت

نفخة

منه الريح والصرعى جمع صريع بمعنى مصروع كقتلى جمع قتيل واسرى جمع
اسير وهو من الصرع بمعنى الطرح على الارض والصريع من الاغصان
ما تهدل وسقط على الارض قيل ومنه قيل للقتيل صريع والرهائن
جمع رهينة وهو الرهن والهاء للمبالغة كالشتيمة والشتم بمعنى المرهون
والمشتوم واستعار لفظ الرهاين للموتى باعتبار لزوم القبور لهم وعدم
انفكاكهم عنها كالرهن في يد المرتهن او باعتبار كونهم ملزومين في
القبور باعمالهم ويحتمل ان يكون رهينة بمعنى راهنة من رهن الشيء
رهونا اذا ثبت ودام فيكون المراد برهائن القبور الاشخاص المقيمة
الثابتة في قبورها فلا يكون الكلام استعارة واضافة صرعى الى
الرهاين من اضافة الصفة الى الموصوف اي رهاين القبور الصرعى
تنبيه قال بعض المحققين النفخة نفختان نفخة تطفي النار ونفخة
تشعلها قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فينفخ اسرافيل
نفخة واحدة فتمر على الصور المشتعلة بارواحها سماوية كانت او
ارضية فتطفئها ثم ينفخ نفخة اخرى فتمر على الصور المستعدة للاشتعال
بارواحها فتشتعل بها فاذا هم قيام ينظرون فتقوم تلك الصور
احياء ناطقة بما ينطقها الله فمن ناطق بالحمد لله ومن ناطق يقول
من بعثنا من مرقدنا ومن ناطق بالحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا
واليه النشور وكل ينطق بحسب علمه وحاله وما كان عليه ونسي حاله
في البرزخ ويتخيل ان ذلك منام كما يتخيله المنتبه من نومه وقد كان
عند موته وانتقاله الى البرزخ كالمستيقظ هناك وان الحيوة كانت
له كالمنام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وفي الاخرة يعتقد في امر
الدنيا والبرزخ انه منام في منام ولما كان الغرض من النفخة الاولى
هي النفخة الثانية وكانت كاللازم لها لان الحيوة في نشاة عالية
يلزمها الموت عن نشاة سافلة اقتصر عليه السلام على ذكر النفخة

قال الزمخشري ليست الرهينة بتأنيث
رهين بمعنى مرهون لان فعيلاً
هذا يستوي فيه الذكر والمؤنث
بل هو مصدر اقيم مقام المرهون
كالرهن وقوله هو رهينة [?] بالنعف
وقوله ابعد الذي بالنعف
نعف كويكب رهينة رمس
ذي تراب وجندل دليل على
ما قلناه انتهى قلت يكون
ان تكون الرهاين جمع رهين
لا رهينة فانهم نصوا على
جمع لهما قال ابو حيان في
الارتشاف رهين ورهينة
قالوا فيهما رهاين

الثانية في قوله فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور وَمِيكَائِيلُ ذُو
الْجَاهِ عِنْدَكَ وَالْمَكَانِ الرَّفِيعِ مِنْ طَاعَتِكَ اخرج الديلمي عن ابي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسم ميكائيل عبيد الله
وفيه لغات ميكائيل كميكاعيل وميكال كميعاد وميكائل كميكاعل
وميكئل كميكعل وميكييل كميكعيل وبكلها قرئ وبابدال اللام نونا
ميكائين كاسرائين وكان موكلا بارزاق الاجساد والحكمة والمعرفة
للنفوس وله اعوان موكلون على جميع العالم من شانهم احداث قوة
النموّ في الاركان والمولدات وغيرها التي بها الوصول الى الغايات
وبلوغ الكمال كالامكنة والرياح والسحب والامطار والنبات والحيوان
والمعادن فكل ذلك باعوانه والجاه القدر والمنزلة يقال فلان
ذو جاه اي قدر وحرمة قالوا وهو مقلوب من الوجه من قولهم وجه
الرجل بالضم اي صار وجيها ذا جاه وقدر والاسم الوجاهة وفي
حديث عائشة كان لعلي وجه من الناس حيوة فاطمة قال ابن الاثير
في النهاية اي جاه وعز فقدهما بعدها والمكان الموضع والرفيع اما
بمعنى مفعول من رفعه كنصر صد وصنعا او بمعنى فاعل من رفع ككرم
رفعة بالكسر اي شرف وعلا قدره فهو رفيع والطاعة لغة الانقياد
واصطلاحا موافقة الامر وقيل موافقة الارادة والمراد بجاهه
عنده تعالى كرامته لديه كما قال ان اكرمكم عند الله اتقاكم وبرفعة
مكانه في طاعته تعالى كمال عبادته له ويحتمل ان يشير بذلك الى ما
روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال مؤذن اهل السموات
جبرئيل وامامهم ميكائيل يؤمهم عند البيت المعمور فان الامامة
مكان رفيع في الطاعة لا يرشح لها الا من كان ارفع مكانا واجمع
لشرائطها وَجَبْرَئِيلُ الْأَمِينُ عَلَى وَحْيِكَ الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ
الْمَكِينُ لَدَيْكَ الْمُقَرَّبُ عِنْدَكَ اخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن
ابن عباس قال جبرئيل عبد الله وميكائيل عبيد الله وكل اسم فيه

ايل معبد لله واخرج عن عبد الله بن الحارث قال ايل الله بالعبرانية
وقيل اسم جبرئيل في الملائكة خادم الله قال ابن جني اصل جبرئيل
كوريال فغير بالتعريب وطول الاستعمال الى ما ترى وفيه لغات
جبريل بكسر الجيم والراء بلا همز وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء بلا همز
وجبرائل بهمزة بعد الالف وجبرائيل بياءين بلا همز وجبرئيل بهمز
وياء بلا الف وجبرئل مشددة اللام وقرئ بهن وجبرين بالنون
مع فتح الجيم وكسرها وفيه لغات اخرى والمروي منها في الدعاء اللغة
الاولى والخامسة والامين الحافظ لما كلف بحفظه من تطرق الخلل اليه
ولما كان الوحي النازل بواسطته محفوظا نازلا كما هو صدق عليه
انه امين عليه والمطاع في اهل سمواتك اي الملائكة السماويين فانهم
يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه كما ورد في الخبر والمكين فعيل
بمعنى فاعل من مكن عند الملك مكانة كضخم ضخامة عظم عنده وارتفع
فهو مكين والمقرب قرب منزلة ورتبة لا قربا مكانيا والعندية
عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان لتنزهه تعالى عن المكان
لكنه عبر بذلك تنزيلا لتكرمته عليه وزلفاه عنده منزلة المقرب
عند الملك بطريق التمثيل وفي هذه الصفات تلميح الى قوله تعالى
في وصفه انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع
ثم امين روي ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال لجبرئيل
عليه السلام ما احسن ما اثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش
مكين مطاع ثم امين فما كانت قوتك وما كانت امانتك فقال اما
قوتي فاني بعثت الى مداين لوط وهي اربع مداين في كل مدينة اربعمائة
الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الارض السفلى حتى سمع اهل
السموات اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن
واما امانتي فاني لم اومر بشيء فعدوته الى غيره تنبيه قد يقال
في تقديم ميكائيل في الذكر دلالة على انه افضل من جبرئيل لكن يعارضه

تقديم الله تعالى جبرئيل في الذكر في قوله تعالى من كان عدوا لله وملئكته
وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين والاخبار في ذلك متعارضة اخرج
الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن زيد بن رفيع قال دخل على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم جبرائيل وميكائيل وهو يستاك فناول رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم جبرئيل السواك فقال جبرئيل كبّر قال الترمذي اي ناول
ميكائيل فانه اكبر واخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم الا اخبركم بافضل الملائكة جبرئيل والله اعلم والرُّوحُ
الَّذِيْ عَلَى مَلاَئِكَةِ الحُجُبِ الروح هنا اما اسم ملك موكل على ملائكة
الحجب او صفة له على ان الملائكة كلها ارواح ويؤيد كونه صفة ما روي
عن الربيع بن انس ان الملك الموكل بالحجب يقال له ميططاروش والحجب
جمع حجاب وهو الستر والاصل فيه جسم حائل بين جسدين واستعمل
في المعاني فقيل العجز حجاب بين الانسان ومراده والمعصية حجاب بين
العبد وربه والمراد بالحجب هنا ما فوق السموات من الانوار والكمالات
وغيرها التي حجبت عن تعلق علوم المخلوقين بها وراها ففي الخبر ان
فوق السماء السابعة صحارى من نور ولا يعلم ما فوق ذلك الا الله تعالى
وعن وهب بن منبه فوق السموات حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم
بعضا لكثرتهم يسبحون الله بلغات مختلفة واصوات كالرعد القاصف
وروى رئيس المحدثين قدس سره باسناده عن وهب قال سئل امير
المؤمنين صلوات الله عليه عن الحجب فقال اول الحجب سبعة غلظ كل
حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وبين كل حجاب مسيرة خمسمائة عام والحجاب
الثاني سبعون حجابا ما بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة
عام حجبة كل حجاب منها سبعون الف ملك قوة كل ملك منها قوة الثقلين
منها ظلمة ومنها نور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحاب ومنها
برق ومنها رعد ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج
ومنها ماء ومنها انهار وهي حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة الف عام

ثم سرادقات الجلال وهي ستون سرادقا في كل سرادق سبعون الف
ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسماية عام ثم سرادق الفخر
ثم سرادق الكبرياء ثم سرادق العظمة ثم سرادق القدس ثم
سرادق الجبروت ثم سرادق العز ثم النور الابيض ثم سرادق
الوحدانية وهو مسيرة سبعين الف عام ثم الحجاب الاعلى وانقضى
كلامه وسكت عليه السلام فقال عمر لا بقيت ليوم لا اراك فيه يا
ابا الحسن قال ابن الفارسي اما هذه الحجب مضروبة على العظمة العليا
من خلق الله تعالى التي لا يقادر قدرها وليست مضروبة على الله تعالى
لانه سبحانه لا يوصف بمكان ولا بانه مستتر بحجاب قلت وقد اشار
امير المؤمنين عليه السلام الى هذه الحجب والسرادقات في خطبته في
صفة الملائكة عليهم السلام حيث قال وبين فجوات تلك الفروج
زجل المسبحين منهم في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات
المجد وفي الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان لله
تعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات
وجهه ما انتهى اليه بصره وللعلماء في تاويل هذا الحديث كلام طويل
ومجمله ان الحجاب في حقه تعالى محال فلا يمكن فرضه الا بالنسبة
الى العبد وتحقيق الحجب ان الطالب له مقامات كل منها حجاب له قبل
الوصول اليه ومراتب المقامات غير متناهية فتكون مراتب الحجب
ايضا غير متناهية وحصرها في سبعين الفا لا يدرك الا بنور النبوة
او المراد بالسبعين معنى الكثرة فان السبعين جار مجرى المثل في الكثرة
وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ يحتمل ان يكون المراد بالامر هنا الشان
والاضافة للاختصاص الفعلي لا الايجادي لاشتراك الكل فيه
وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى اي الروح الذي هو من جملة ما
استاثرت بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر
ويحتمل ان يكون المراد به عالم الامر المقابل لعالم الخلق المعبر عنهما

انظر عالم الامر وعالم الخلق

بعالم الغيب والشهادة والملكوت والملك فعالم الامر هو الاوليات
العظام المخلوقة للبقاء من غير مادة واصل من الروح والعقل والقلم
واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار وسمي بعالم الامر لان الله
عز وجل اوجده بامره لا من شي وعالم الخلق هو الموجودات المخلوقة
للفناء من مادة مستحيلة كائنة فاسدة وسمي بعالم الخلق لانه تعالى
خلقه من شي له مساحة وتقدير اذ كان الخلق بمعنى المساحة والتقدير
فالمعنى ان الروح الذي هو من ابداعيات تلك الكاينة من عالم الامر بمحض
الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل وليس هذا من قبيل
قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون فان ذلك
عبارة عن سرعة التكوين سوا كان الكاين من عالم الامر او من عالم
الخلق ويدل على هذا المعنى ما رواه ابو جعفر الصفار في بصاير
الدرجات باسناده عن ابي بصير قال سالت ابا عبد الله عليه السلام
عن قوله عز وجل يسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي قال
خلق اعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم وهو مع الايمة وهو من الملكوت فقوله عليه السلام وهو من
الملكوت ظاهر في انه تفسير للامر وباسناده عن ابي الصباح الكناني
قال قلت لابي عبد الله عليه السلام وكذلك اوحينا اليك روحا من
امرنا قال خلق والله اعظم من جبرئيل وميكائيل وكان مع رسول الله
صلى الله عليه واله يخبره ويسدده وهو مع الايمة من بعده وباسناده
عن علي بن اسباط قال سأله رجل من اهل هيت وانا حاضر عن قول الله
عز وجل وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال منذ انزل الله ذلك
الروح على محمد صلى الله عليه واله ما صعد الى السماء وانه لفينا
وباسناده عن سعد الاسكاف قال اتى رجل علي بن ابي طالب عليه السلام
يسأله عن الروح اليس هو جبرئيل فقال له علي عليه السلام جبرئيل
من الملائكة والروح غير جبرئيل فقال له لقد قلت عظيما من القول